# صوت في الظلام

تعود دونيلا الرائعة الجمال من المدرسة الخاصة في فلورنسا وقد ملأها الشوق الى لندن حيث ستقام لها حفلة تقدم فيها إلى المجتمع. وإذا باللورد والتنغهام، وهو رجل كبير السن وصديق لزوج أمها، يطلب يدها حال وصولها.

وتهرب دونيلا وقد تملكها الذعر لفكرة الزواج من رجل يكاد يكون في سن والدها.

وفي عربة سفر عمومية تتعرف الى بازيل بانكس وأجراسه الثلاثة اي الفتيات اللواتي يعملن في فرقته. وحيث أن إحدى تلك الاجراس كانت غائبة، وافقت دونيلا على أن تقوم بالاداء بدلا منها وذلك في حفلة يقيمها في تلك الليلة الماركيز اوف هانتنفورد.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ٥٠٠ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال.

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

THE EARL RINGS A BELLE

Copyright © Cartland Promotions 1991

ISBN 0-7493-0810-9

عنوان الطبعة العربية الاولى عن دار م. النحاس ١٩٩٧

صوت في الظلام بقلم باربرا كارتلاند

ترجمة: بلقيس حوماني

سلسلة روايات الجيب أ - ١٢٧

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من كارتلاند بروموشنز cartland Pomotions).

جميع الحقوق محفوظة، باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.

كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب [illegible] الأسماء التي تحملها [illegible] شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت ـ لبنان شارع فردان بناية [illegible]
الناشر: ص.ب: ١١/٩٧١٨ ـ فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) ـ هاتف: ٧٤٣٦٣٣ ـ ٧٤٣٦٣١ ـ ٢١٦٦٩٣ (٠٣)



# اعزاءنا القراء

كما عودتكم دار م. النحاس على تقديم الجديد من المنشورات القصصية والأدبية والتي تحرص على ان تبرز فيها ما يغني معلوماتكم... وتواصلاً مع ما قدمناه من كتب وروايات لاقت استحسانكم. نضع بين أياديكم اصدارنا الجديد من سلسلة قصص "باربرا كارتلاند" وكلنا ثقة في أن تحظى برضاكم وتجنوا منها الفائدة كونها تمتاز بشموليتها وسردها الدقيق.

وهذه السلسلة القصصية. نأمل ان تكون كسابقاتها خير جليس وأنيس لكم وانتم، كما نحن، التواقون دائماً إلى كل جديد تواكب به حركة التطور الثقافي الذي لا تحده حدود.

ولعل أسمى ما نصبوا إليه هو ألا يذهب الوقت سدى ونعمل جميعاً بالمقولة المأثورة: "الوقت كالسيف. ان لم تقطعه قطعك".

وقصص "باربرا كارتلاند" لم نأت بها من فراغ، بل بذلنا جهداً كثيراً غير نادمين. لأننا نرتاح ونطمئن فور ادراكنا افادتكم.

ويحدونا الأمل دائماً. بأن نكون على تواصل مستمر معكم ورفدكم بكل ما تراه مناسباً وطموحاتكم التي هي جزء من طموحاتنا.

الناشر

وحده فاضيه منتدى ليلاس

في القرون الوسطى، كان النبلاء أصحاب القصور، يجدون التسلية في إحضار الموسيقيين إلى عقر دارهم.

وكان المغنون المتجولون ينتقلون من مكان لآخر ينقلون أخبار الانتصارات أو الهزائم بين الناس.

وفي لندن، كانت هناك الحدائق الشهيرة. واصبح عددها في وقت من الأوقات، حوالي المئتين حديقة في ضواحي لندن وحدها.

وفي سنة ١٨٢٠ كان هناك عدد لا يحصى من الحانات مثل كول هول وسايدر سيلر كانت تقام فيها مسارح تقدم مسرحيات قصيرة هزلية.

وفي سنة ١٨٦٠ كان أهمها صالات ايفانز للعشاء والغناء في كوفنت غاردن. ومن صالات العشاء انبثقت صالات الموسيقى والتي كانت تحتوي على الكراسي فقط من دون الموائد.

# الفصل الأول

## ١٨٦٩

دخلت دونيلا إلى المنزل وهي تشعر بمنتهى السعادة. فقد كانت استمتعت تماماً بنزهتها على صهوة الجواد في المروج.

كانت ترى أن لا شيء أجمل من أزهار النرجس المتفتحة تحت الأشجار، ولا من البنفسج المختبىء بين الطحالب.

وعندما اجتازت الباب الأمامي، تقدم منها رئيس الخدم قائلاً: «يريد السيد ماركوس التحدث إليك، يا آنسة دونيلا.»

شعرت دونيلا بالانزعاج وتساءلت بذعر عن الذي قد تكون قامت به ليجعل زوج أمها مستاء منها.

لا بد أن هناك شيئاً ما جعله يبلغ الخادم بأنه يريد رؤيتها.

كانت تعلم أنه لا بد في انتظارها في غرفة مكتبه، لقد كانت هذه الغرفة مقترنة دوماً في ذهنها بغلطة ما.

فإذا أراد السيد ماركوس أن يوبخها أو يوبخ خادماً ما، فهو يقوم بذلك في المكتب.

ولكنها كانت تحب زوج أمها لأنه جعل أمها امرأة سعيدة. عندما غرق الكابتن أنغوس كولوين مع سفينته أثناء

عاصفة هوجاء غير عادية في خليج بسكاي، تحطم قلب زوجته حتى كادت تمرض.

كانت تحب زوجها كثيراً، لكنه تركها دون مالٍ كافٍ. فقد كان مرتب قائد السفينة زهيداً، ومن ثم كان التعويض الذي يعود لزوجته وأولاده من بعده، تافهاً لا قيمة له.

وقالت لها أمها باكية: «ماذا نعمل الآن، يا دونيلا؟»

فأجابت دونيلا: «سنتدبر أمرنا بشكل ما. إنني واثقة من أن والدي لو ما زال موجوداً، لآلمه بكاؤك الذي قد يتسبب باصابتك بالمرض.»

فجاهدت السيدة كولوين في تمالك مشاعرها وذلك اكراماً لابنتها.

كانت تحبها كثيراً وكانت تعرف أنها ستكون شابة بالغة الجمال والجاذبية.

وكانت تفكر على الدوام كم تخسر دونيلا بعيشها في مثل هذا البيت المؤجر في الميناء.

لم تكن البيوت الواسعة متوفرة في تلك المناطق، ولم يكن سكانها يهتمون كثيراً بكابتن السفينة ذاك وزوجته.

وكانت أسرة السيدة كولوين تعيش في نورث أمبرلاند فهي ابنة أسرة محترمة من ملاّكي الأراضي.

ولكونها من أسرة كبيرة، فقد كانت تدعى دائماً إلى الكثير من الحفلات وذلك في فترة تقديمها إلى المجتمع.

وبهذا تعرفت إلى عدد كبير من الناس في المجتمعات رغم أنها لم تحضر بعد إلى لندن لتقديم احتراماتها للملكة، حسب التقاليد المتعارف عليها.

ولأنها كانت جميلة جداً، فقد كان والدها يأمل في أنها



ستعثر على الزوج المناسب، والأفضل لو كان ذلك احد ابناء الجوار من الأغنياء.

ولسوء حظه، تعرفت ابنته ماري اكتن، كما كان اسمها حينذاك إلى الكابتن البحار أنغوس كولوين الذي وقع في غرامها منذ النظرة الأولى.

ورغم اعتراض والدها الشديد، فقد أصبحا زوجين قبل عودته إلى البحر.

وحين علمت السيدة كولوين وابنتها بموت زوجها، كانتا تسكنان في بورت سماوث.

وبعد موت زوجها، لم تستطع السيدة كولوين احتمال العيش قريباً من البحر. وهكذا انتقلت مع ابنتها إلى وورسسترشاير لا لسبب معينّ، بل لأنه قيل لها ان البيوت هناك أرخص.

وهناك استأجرتا كوخاً صغيراً، لكنه بالغ في الجمال، من طراز العهد الاليزابيتي باللونين الأبيض والأسود.

كان في ضواحي احدى القرى الجميلة، وهناك كوّنا من القرويين بعض الأصدقاء.

وكانت الصدفة وحدها هي التي جعلتها تتعرف إلى ماركيز كوفنتري المشهور.

وحيث أنها كانت امرأة بالغة الجمال، سمح لها الماركيز بركوب جياده، فكانت تذهب إلى الصيد أو النزهات مع ابنتها.

وعندما كان الماركيز وزوجته يحتاجان إلى وجود امرأة في حفلة عشاء في دارهم، فقد اعتادوا دعوة السيدة كولوين لسد هذا النقص.

وكانت تستمتع دوماً بهذه المناسبات الخاصة التي كانت تخفف من سأم حياتها الرتيبة.

وأثناء حفلة كانت أقيمت بعد معرض للزهور، تعرفت إلى السيد ماركوس غرايسون.

وكما سبق وحصل مع انغوس كولوين من قبل، وقع هذا أيضاً في حبها منذ أول نظرة.

كان رجلاً في الخامسة والخمسين من عمره، وكان واثقاً من أنه لن يتزوج مرة أخرى، بعد ان اصبح ارملاً منذ عشر سنوات.

ولكنه لم يستطع مقاومة جمال السيدة كولوين. وقبل أن تجد الوقت لتفكر فيه، كان قد طلب يدها.

كانت في تلك الاثناء ما تزال حزينة لموت زوجها، وكانت تشعر بأنه من غير الممكن منح قلبها لشخص آخر. وهكذا كان أول ما خطر ببالها هو أن تجابه طلبه للزواج منها بالرفض.

ولكن ما أن أخذ السيد ماركوس يصر عليها بالموافقة، حتى فكرت في ابنتها.

ذلك أنها رغم كونها محظوظة في التعرف إلى آل كوفنتري، إلا أنه لم يكن لديهم أولاد بسن دونيلا. ولهذا لم يحدث أن طلبوا منها ابداً إحضار ابنتها معها إلى أي من الاحتفالات التي كانوا يقيمونها. وكانت إذا ما تحدثت عن ابنتها إلى الكونتيسة، كان يبدو على هذه الأخيرة عدم الاهتمام وذلك بشكل واضح.

كان السيد ماركوس رجلاً غنياً ومحترماً أيضاً.

فقد كان البارون الخامس لاسرته العريقة، وقد وصف



لماري في عدة مناسبات، منزله الرائع الذي يملكه في شمال هيرت فورد شاير.

كان شديد الزهو بأملاكه الواسعة. كما أنه كان يمضي قسماً من اوقاته في لندن حيث ينزل ضيفاً على بعض من أصدقائه النبلاء.

كانت الملكة تدعوه إلى قصرها مرتين أو ثلاث مرات في العام على الأقل.

نظرت ماري إلى ابنتها دونيلا مدركة أنها، بصرف النظر عن أي شيء آخر، تعتبر غير مكتملة الثقافة كما يجب أن تكون.

كيف بإمكانها أن توفر لابنتها ما كان لها هي عندما كانت في سنها؟

اهتم والديها بتثقيفها الثقافة العالية وبذات المستوى التعليمي الذي وصل إليه إخوتها في كلية ايتون واكسفورد.

وأخيراً، ولأنها كانت تحب ابنتها، خضعت لتوسلات السيد ماركوس.

ولشدة سروره بتحقيق أمنيته، فقد أتما معاملات الزواج على الفور.

وكانت حفلة زفافهما هادئة ومختصرة جداً، فهو لم يدع أحداً من أصدقائه، تجنباً منه للثرثرة. حتى ان دونيلا لم تدع إلى حفلة الزفاف.

فقد قال السيد ماركوس لعروسه: «أريدك لنفسي فقط. وما دمت أسعد رجل على وجه الأرض، فانني لن أسمح لأحد بمشاركتي هذه السعادة.»

ثم قاما برحلة شهر العسل، أما دونيلا فقد أرسلت إلى أفضل وأغلى مدرسة للفتيات كلفة في لندن حيث مكثت هناك عاماً كاملاً.

ولأنها لاحظت أن زوج أمها لم يكن يريدها أن تمضي اجازاتها في منزله، فقد وافقت على السفر إلى ما يسمى بالمدرسة النهائية في فلورنسا.

وإذ كانت تحب الأسفار، فقد امتلأت بهجة لفكرة السفر هذه.

ولكنها كانت تكره أن تفارق أمها، وقالت لها والدموع تترقرق في عينيها: «إنني أحبك يا أماه. وسأفتقد لوجودك معي طوال الوقت كما كنا أثناء حياة والدي.»

فأجابت والدتها: «أعلم ذلك، يا حبيبتي. ولكنك تعلمين ان زوجي يشعر بالغيرة اذا انا اهتممت بأحد سواه.»

«ولكنك أمي أنا أيضاً، وأنا كنت معك قبله بكثير.»

فضحكت الأم بينما امتلأت عيناها بالرقة وهي تجيبها قائلة: «إنني أدرك ما تقولينه بالضبط، يا غاليتي. ولكن عليّ أن أمتثل لما يطلبه زوجي مني وحيث أن تعليمك يكلفه كثيراً، فعليك أن تظهري له عرفانك بالجميل.»

فقالت دونيلا: «إنني شاكرة له جميلة، ولكنني لو كنت في لندن، كان بإمكاني أن أحضر إلى المنزل أثناء الاجازات. والآن يقول إن عليّ المكوث في فلورنسا لمدة سنة وستة أشهر دون أن أراك.»

وتهدج صوتها فوضعت أمها ذراعيها حول ابنتها وحضنتها بشدة، وهي تقول: «عندما تكبرين، ستتغير الأمور. وسيكون لك أصدقاؤك... أصدقاء من النوع الراقي



الذي طالما أردته لك. وقد وعد زوجي بأن يقيم لك حفلة في لندن وأخرى في الريف وذلك حين يحين الوقت لتقديمك إلى المجتمع.»

فتنهدت دونيلا ثم قالت: «ولكن الأمر ليس مثلما أكون معك يا أمي.»

فلم تنطق الأم بما كان يجول في رأسها. لقد كانت واثقة من أن زوجها، حين رجوع ابنتها لن يكون بمثل هذه الغيرة.

ومرت السنة والنصف في فلورنسا ببطء، ولكن دونيلا كانت من التعقل بحيث أدركت أن هذه الفرصة التي سنحت لن تسنح لها مرة أخرى. فقد كان السيد ماركوس سخياً جداً بالنسبة إلى دفع كافة النفقات المتزايدة من التعليم.

وهكذا كان بإمكانها أن تتعلم عدداً من اللغات إضافة إلى المنهج التعليمي، هذا إلى الغرف والفروسية.

كما أنها استمتعت بمصاحبة فتيات من جنسيات مختلفة، تعلمت منهن كل شيء عن بلادهن وعاداتهن، كما من الكتب أيضاً.

وعندما عادت أخيراً إلى المنزل، وكان ذلك في احدى الاجازات، كانت في الثامنة عشرة من عمرها فقط.

ولكنها كانت أفضل علماً وثقافة من معظم الفتيات الانكليزيات رغم أنها لم تكن تعلم ذلك.

ذلك أنها كانت ورثت ذكاء والدها وكذلك حبه للمغامرة.

وقد كبرت ونضجت في الخارج حتى أنها أصبحت أكثر جمالاً مما تذكره امها.

وكان شعرها يتموّج باللون الاحمر بين جعداته.

هتفت أمها بسرور عندما رأتها: «لقد أصبحت أجمل من

الأول بكثير، يا حبيبتي. كم أتمنى لو أن والدك يرى كيف أصبحت الآن.»

فأجابت الابنة: «كان سيفكر كم أصبحت أشبهك، يا أماه.»

قالت الأم: «إن شعرك أجمل من شعري، كما أن عينيك أشد اخضراراً من عيني. ولكن بعد ان شاهدني والدك، قال إنه لن ينظر إلى امرأة غيري من بعدي.»

كانت تتحدث متنهدة. لأنه من المستحيل، حتى بعد ذلك الزمن الطويل، أن تتحدث عن زوجها الأول دون أن تشعر بالرغبة في البكاء.

كانت عندما تأوي الى الفراش تفكر به احياناً.

لكنها ما تلبث أن تحدث نفسها كم أنها ناكرة للجميل حقاً، ذلك لأن زوجها كان شديد الشغف والمفاخرة بها.

لم يكن عليها إلا أن تبدي رغبتها بشيء ما، حتى تجده قد اصبح أمامها في الحال.

لقد كان صندوق مجوهراتها مليئاً بهداياه النفسية لها.

وعندما يذهب إلى لندن من دونها، لا يعود إلا بهدية هي عبارة عن عقد أو خاتم أو سوار.

فكانت تحتج قائلة: «إنك تفسد اخلاقي بهذا الدلال، كيف سأتمكن من شكرك؟»

فيقول لها السيد ماركوس بعنف: «كل ما أريده منك هو حبك لي، فأنا أغار من كل فكرة تفكرين بها ومن كل نفس تتنفسينه. أريد ان يكون كل ذلك لي وحدي.»

كانت تدرك أن الشكوك تملأه وانها ما زالت تحب زوجها الأول.



ولهذا كانت حريصة جداً على ألا تذكر اسمه على لسانها. ولا أن تتحدث عنه إلى دونيلا في وجود زوجها السيد ماركوس.

لكنها، وكذلك ابنتها، كانتا تشعران بغيرته وكرهه لكل لحظة كانت زوجته تمضيها مع ابنتها. ولكنه استمر في كرمه نحو دونيلا.

ولكن زوجته كانت تعلم أنه يحسب في ذهنه متى يحين زواج ابنتها ليتخلص منها نهائياً.

* * *

كانت دونيلا تفكر، وهي تسير نحو مكتب زوج أمها، ما عسى أن يكون الشيء الذي قامت به فأزعجه.

ففي الليلة الماضية كانوا جميعاً إلى مائدة العشاء.

بعد ذلك اخذت تعزف على البيانو وتركتهما بمفردهما، تاركة لهما الفرصة ليتحدثا بما يشاءان.

كانت الفتيات في المدرسة يقمن بمسابقات غنائية عدة مرات في السنة حيث يغنين الأغاني الشائعة في بلدانهن المختلفة.

كانت الفرنسيات يفزن دوماً في مثل تلك المسابقات وذلك لأن الاغاني الباريسية فرحة للغاية.

أما الأغاني الألمانية، فقد كانت أكثر جدية، ولم يكن ينافس الفرنسيات سوى الايطاليات.

وشعرت دونيلا بالاذلال وهي ترى نفسها متخلفة عنهن بكثير. وأخيراً، كتبت إلى أمها تطلب منها أن ترسل منها أكثر الأغنيات انتشاراً في ذلك الوقت.

وقد تكبدت الأم مجهوداً كبيراً في سبيل ذلك.

وما لبثت أن اكتشفت ما كان يغنى في لندن في ما كان يعرف بـ «صالات الموسيقى.»

وكانت تلك الأغاني أكثر تطوراً من تلك التي كانت تُغنى في صالات ايفانز حيث كان الزبائن يتناولون الطعام أثناء مشاهدة العروض المختلفة.

كان هناك العروض البهلوانية، والممثلون الهزليون، والموسيقيون، البعض منهم محترف والبعض الآخر من الهواة.

ما أن يظهروا في صالة الموسيقى، حتى يتعالى التصفيق والهتاف، ويبدأ المتفرجون بمشاركتهم الغناء.

وكانت الأغنية التي تعرف باسم تشارلي يغنيها كل فتى وصبي. وكذلك أغنية «جيلبرت المرح.»

ومثل هذه الأغاني أرسلتها اللايدي غرايسون إلى ابنتها في فلورنسا.

لقد اسرت هذه الأغاني سكان لندن بمرحها وخفتها، كما أنها اسرت التلميذات من الطبقة الارستقراطية.

ولذا، ولأول مرة، تفوز الأغاني الانكليزية في اية مسابقة.

وفكرت دونيلا وهي تقترب من باب المكتب، ربما لم تعجبه الموسيقى التي عزفتها الليلة الماضية. سأحرص هذه الليلة على أن أعزف الموسيقى الكلاسيكية فقط.

دخلت غرفة المكتب ولكنها لم تجد السيد ماركوس جالساً إلى مكتبه كالعادة.

فقد كان واقفاً عند النافذة ينظر منها إلى الحديقة، لقد



كان رجلاً طويل القامة ووسيماً بشكل مختلف تماماً عن والدها.

ولكنه كان ذا طلة بهية للغاية، دون شك. وقالت دونيلا تخاطبه بصوت منخفض نوعاً ما: «أخبروني أنك تريد رؤيتي.»

فاستدار السيد ماركوس ونظر إليها باسماً، وهذا ما جعلها تشعر بالارتياح.

سألها: «هل استمتعت بنزهتك؟»

فأجابت: «لقد كانت رائعة. إن جيادك ممتازة ومن البهجة امتطائها.»

فسار السيد ماركوس نحو المدفأة ووقف أمامها. فقد كان الجو بارداً رغم أن الوقت كان في نيسان (ابريل) والشمس مشرقة.

ففي مثل هذا المنزل الكبير ذي القاعات الفسيحة والسقوف العالية، يكون البرد عادة قارساً. ولهذا، كانت المدافىء تشعل منذ ساعات الصباح الأولى.

قال لها: «إجلسي يا دونيلا. أريد أن أتحدث إليك.»

«بماذا يا زوج أمي؟ أرجو ألا أكون قد اقترفت خطأ ما.»

فأجاب: «كلا، كلا. ثم إنك فتاة محظوظة جداً.»

نظرت إليه متسائلة: «هل لأن باستطاعتي ركوب جيادك الممتازة؟»

أجاب: «بل هو شيء أكثر أهمية من ذلك.»

سكت قليلاً وكأنه يختار كلماته، ثم قال: «لقد زارني اللورد والتنغهام هذا الصباح وهو في طريقه إلى لندن، كما دار بيننا حديث طويل.»

دهشت دونيلا وتساءلت عن علاقتها بهذا الأمر. لقد كان اللورد والتنغهام صديقاً لزوج أمها، كما أنه رجل مميز تماماً، يتمتع بمركز هام في البلاط ويمثل الملكة بصفته محافظ مدينة هيرت فوردشاير.

كان بالغ في الثراء ومن أسرة عريقة، وكانت هي تعلم أن ذلك يؤثر في نفس زوج أمها رغم اعتزازه البالغ بأسلافه. ذلك أن أسلاف اللورد كانوا يعودون إلى عهد الملكة اليزابيت.

فعلى مدى القرون، خدم أعضاء تلك الأسرة المملكة بكل اخلاص، وكوفئوا على اعمالهم تلك، مكافأة كبيرة.

وكان السيد ماركوس يقول: «ربما يدهشك أن تعلمي أن اللورد والتنغهام تحدث عنك.»

فهتفت دونيلا بدهشة: «عني أنا؟»

كان اللورد والتنغهام قد تناول معهم الغداء أمس، فحاولت أن تتذكر ما تراه قال لها ليجعل زوج امها بهذا الاهتمام.

وما لبثت أن تذكرت أن أخبرها أن كلبته في الريف قد انجبت مؤخراً مجموعة من الجراء.

فهتفت باسمة: «أنا أعلم لماذا جاء. إنه يريد أن يقدم إلي واحداً من جرائه، ولكنني أشعر يا زوج أمي، بأنك لا تحب الحيوانات في المنزل هنا.»

فقال: «كلا، ليس هذا ما جاء لأجله. وطبعاً أنا لا أريد كلاباً في منزلي سوى التي أمتلكها.»

فسألته بفضول: «ما الذي يريده إذن؟»

أجاب: «ربما هي مفاجأة لك، كما كانت بالنسبة إلي.



ولكنك، كما قلت لك، فتاة محظوظة جداً، لأن اللورد والتنغهام طلب يدك لتكوني زوجته.»

ومرت لحظة ظنت دونيلا أثناءها أنها ربما لم تسمع جيداً.

حدقت بالسيد ماركوس بدهشة كبيرة قبل أن تنطق بأول ما تبادر إلى ذهنها من كلمات: «و... ولكنه كبير السن... كبير السن جداً.»

بغت السيد ماركوس وقال: «إن اللورد في سني، وأنا لا اعتبر كبير السن.»

فقالت بسرعة: «كلا... كلا طبعاً، ولكنك متزوج من أمي... فاللورد والتنغهام يمكن أن يكون بعمر... والدي.»

فقال: «لا أظن أن العمر مهم حقاً. فاللورد والتنغهام هو أحد أهم الرجال في البلاد. كما أنه بالغ الثراء وكل من يعرفه يحترمه ويعجب به.»

وسكت لحظة عاد بعدها يقول: «يجب أن تكوني شاكرة جداً على هذا الخبر السعيد الذي أرسله إليك.»

فقالت تعترض: «ولكنني... لا أستطيع الزواج منه... فأنا لا أكاد... أعرفه... كما أنني... لا أحبه.»

وكانت على وشك القول إن ليس بإمكانها أن تحب رجلاً بهذا السن، ولكنها عادت فتذكرت أن زوج أمها حساس جداً بالنسبة لذلك.

ولهذا السبب تراجعت عن كلماتها في آخر لحظة.

فقال بحدة: «هل معنى هذا أنك ترفضين الزواج منه؟»

أجابت: «إنني، كما سبق وقلت، لا أحب... اللورد والتنغهام... ولا يمكن أن أتزوج رجلاً... لا أحبه.»

فقال: «الحب؟ الحب؟ وماذا تعرف الفتيات الصغيرات عن الحب؟ إن الحب لرجل مثل اللورد والتنغهام يأتي عادة بعد الزواج. وهذا أكيد جداً.»

فسألته: «وإذا لم يأت الحب... ماذا سأفعل حينذاك؟»

ساد الصمت.

ورأت من ملامحه أن الغضب بدأ يستولي عليه. «إنني لا أنوي مناقشتك في هذا الموضوع، يا دونيلا. فقد سبق وأخبرت اللورد والتنغهام أنني، وأمك، نرحب به زوجاً لك.»

ونظر إليها ليرى إن كانت تستمع إليه قبل أن يتابع: «إنه سيحضر إلى هنا غداً العصر لكي يطلب يدك رسمياً، وعليك الموافقة.»

فسألته مترددة: «وإذا أنا... لم اوافق؟»

أجاب: «ليس من الممكن أن تفعلي شيئاً بهذه الحماقة.»

فابتدأت تقول: «كما... سبق وقلت...»

قاطعها بقوله: «والآن، استمعي إلي، أيتها الطفلة الغبية. عليك أن تعلمي أن الزواج بين أبناء الطبقة الارستقراطية يتم بتدبير بين الأهل. فبإمكاننا، أمك وأنا، أن نجبرك على الزواج ممن نراه مناسباً وعليك الطاعة.»

قفزت دونيلا واقفة وهي تسأله: «كيف ترغمانني على شيء قد يسبب لي تعاسة؟ لقد تزوجت والدتي من والدي لأنها كانت تحبه، ولا أعتقد أنها قد ترغمني على الزواج من رجل... لا أشعر نحوه بشيء، وعلى ثقة من أنني سأكرهه كزوج لي.»

فزمجر قائلاً: «إنك تتحدثين بطريقة عصبية. أريدك أن



تفهمي جيداً ان عليك، هذا إذا أنت لم تمتثلي لما أطلبه منك، أن تتركي منزلي وتعملي على إعالة نفسك.»

وازداد صوته حدة وهو يتابع قائلاً: «من تظنين دفع ثمن ثيابك وطعامك وأنفق على تعليمك؟»

فسألته: «أتريد أن تقول... أنك... لن تسمح لي بالسكن... في منزلك؟»

أجاب: «إن أمامك أن تختاري، إما الزواج من أحد أغنى رجال انكلترا، وإما الالتزام بإعالة نفسك كمربية أو مرافقة لامرأة عجوز غريبة الأفكار.»

وكانت دونيلا تعلم أنه لا يوجد عمل آخر مسموح به للنساء، فتنهدت وسارت نحو النافذة.

وقفت وظهرها للغرفة كما كان يقف زوج أمها منذ لحظات، في الخارج، كانت أشعة الشمس تغمر الحديقة، بينما أزهار الربيع تتألق بالوانها المختلفة في المروج الخضراء.

كانت تعلم أن كل ما يمتلكه زوج أمها رائع بقدر ما تساعده نقوده على ذلك.

وتذكرت صعوبة الحياة التي كانت عليها في ذلك الكوخ الصغير بعد رحيل والدها.

ولكنها الآن أصبحت ترى اللورد والتنغهام بشكل مختلف.

كان رجلاً كبير الجسم عريض الكتفين ذا جبهة عالية قد ابتدأ الشعر يتساقط منها. كما أن الشيب خطّ في معظم فروة رأسه. هذا إلى التجاعيد تحت عينيه وحول أنفه وفمه.

لقد كان في شبابه رجلاً وسيماً. وما زال يبدو كما يقول الناس، رجلاً ممتاز الشكل.

ولكنه كان كبير السن كثيراً، بحيث لم تكن تستطيع أن تتصوره بجانبها.

وشعرت بنفسها ترتجف. وبأنها تريد أن تصرخ ذعراً لمجرد التفكير بأنها ستكون زوجته.

كيف بإمكانها أن تمضي حياتها مقيدة به؟

ورأته بغيضاً إلى نفسها دون أن تعرف لماذا.

ومن خلفها جاء صوت زوج أمها يقول: «والآن، أنصتي إلي، يا دونيلا. ليس لدي رغبة في جعلك حزينة، وأنا أدرك أن هذا سبّب لك الصدمة، ولكنك فتاة ذكية، وأنا واثق من أنك، عندما تراجعين هذا الأمر في رأسك، ستدركين كم أنت محظوظة.»

وسكت لحظة قبل أن يتابع قائلاً: «لقد زادك اللورد والتنغهام شرفاً حين طلب يدك من بين جميع النساء.»

فلم تجب دونيلا، وتابع هو: «أظنك تعلمين أنه كان متزوجاً من قبل. ولكن زوجته أصيبت بمرض دام لسنوات طويلة، إلى ان توفيت.»

فلم تجب دونيلا كما لم تستدر إليه، بينما تابع هو: «وفي تلك الأثناء، اخذ اللورد والتنغهام يعمل بهمة ونشاط في سبيل بلاده. فكان نجاحه ومتألقاً في جميع المناصب الديبلوماسية التي تقلدها باسم صاحبة الجلالة الملكة ووزارة الخارجية، كما تابع العمل دون كلل أو ملل في سبيل مصلحة بلدة هيرت فوردشاير.»

انهى السيد ماركوس كلامه، وبعد لحظة استدارت هي



إليه قائلة: «أظن عليّ... التحدث في هذا الأمر... مع أمي.»

فتألقت ملامح وجهه وهو يجيب: «طبعاً، يا عزيزتي... هذا هو التصرف الحكيم... وما عليك القيام به بالضبط. هذا إلى أن سرور أمك مماثل لسروري، لأنه سيكون لك مثل هذا المركز سواء في البلاط الملكي أو في الريف.»

فقالت بصوت خافت: «سأذهب إليها... الآن.»

وخرجت من الغرفة دون أن تلقي نظرة على زوج أمها، ثم أغلقت الباب خلفها.

وحدثت نفسها كيف أن كل شيء قد سار حسب ارادته، فمن الطبيعي أن تدرك الطفلة، وهذا ما كانا يزالان يعتبرانها، أنها لن تحصل على عرض أفضل من هذا الزواج.

كما أنها كلما أسرعت بالزواج، كان ذلك أفضل بالنسبة اليه، وفي نفس الوقت لن يستطيع احد الادعاء بأنه لم يوفر لابنة زوجته أفضل الفرص.

فكر وهو يجلس خلف مكتبه: «عندما يأتي والتنغهام غداً، سنتحدث في أمر حفلة الزفاف والمهر طبعاً.

* * *

بعد أن أغلقت دونيلا الباب خلفها، اسرعت تصعد السلالم.

لم تذهب إلى غرفة أمها كما ظن السيد ماركوس، بل ذهبت رأساً إلى غرفتها حيث خلعت ثياب الركوب، ثم ألقت بنفسها فوق السرير وأخذت تفكر.

كيف من الممكن أن تواجه بالزواج بهذه الصورة

المفاجئة؟ فهي لم تعد إلى انكلترا إلا منذ اسبوع فقط، وعند عودتها كانت البهجة تملأ نفسها.

كما أنها كانت تنتظر بكل شوق، الحفلة التي كان وعدها بها زوج أمها بأن يقيمها لها في لندن.

كانت تفكر كم ستكون مسرورة إذ ستتعرف على فتيات انكليزيات من نفس سنها.

كما أن عدداً من الفتيات ممن كن معها في المدرسة، ستقام لهن حفلات التقديم إلى المجتمع أيضاً في هذه السنة.

وطبعاً، تحدثن كثيراً عن الذي قد يتزوج منهن، على أمل أن يحظين بعروض زواج كثيرة.

لقد قالت واحدة منهن: «لقد حظيت شقيقتي بست عروض للزواج، لكنها تزوجت من العرض السابع.»

فسألتها فتاة فرنسية: «وبماذا كان هذا يمتاز عمن سبقه؟»

فأجابت: «بأنه ابن ماركيز.»

ولم يكن من داع لطرح اسئلة اضافية.

كانت دونيلا تعلم أن في هذا الزواج، نصر اجتماعي قد يجلب السرور والرضى لعائلتها.

وفكرت الآن، لو انها أخبرت الفتيات في المدرسة عن اللورد والتنغهام، لكان اهتمامهن بالغاً.

ولكنها، في نفس الوقت، كانت واثقة من أن البعض منهن كن سيفهمن موقفها والسبب لرفضها الزواج من رجل يكبرها سناً إلى هذا الحد.

وفكرت متأملة: لقد قلت من الممكن أن يكون والداً لي. ولكن كان بإمكاني أن أقول جدي، فهو يبدو كبيراً جداً. لقد



كان والدها عند وفاته يبدو اكثر شباباً منه، وقد يكون هذا لبقائه في البحر على الدوام.

لم يكن هناك خطوط عميقة تحت عينيه، ولا شيب في شعر رأسه.

وتمتمت تقول: «لا أستطيع الزواج منه... لا أستطيع.»

وأخيراً، ارتدت أحد الاثواب الجميلة والغالية الثمن التي كانت أمها قد أرسلتها إليها عندما كانت في فلورنسا، بعد ذلك، غادرت الغرفة.

اتجهت، مرغمة، نحو غرفة جلوس أمها الخاصة وكانت هذه تتفحص قائمة الطعام لنهاية هذا الاسبوع عندما دخلت ابنتها الغرفة.

رفعت نظرها إليها، فأدركت بالضبط ما تشعر به ابنتها.

وقفت دونيلا لحظة واحدة عند الباب تنظر إلى أمها..

ثم، ما أن وقفت امها حتى اندفعت هذه إليها لتدفن وجهها في كتفها.

احتضنتها أمها بشدة، ثم قالت بصوت رقيق: «إنني أعلم يا عزيزتي أنها كانت صدمة كبيرة لك، ولكن زوج أمك أصرّ على أن يبلغك الأمر بنفسه.»

فسألتها دونيلا: «وكيف أتزوج من رجل... أكبر سناً من... والدي؟»

فلم تجب أمها، وبعد لحظة رفعت دونيلا رأسها لتقول: «هل عليّ... أن أتزوجه.... يا أماه؟»

فقادتها أمها إلى الأريكة حيث جلستا جنباً إلى جنب ثم قالت: «كنت خائفة يا حبيبتي من أن يحزنك هذا.»

«لم أفكر قط... ولم أحلم مطلقاً... بأنني قد أرغم على

الزواج منذ لحظة... عودتي إلى انكلترا. كنت متشوقة... إلى أن أكون معك في... لندن لنتقاسم السرور... في الحفلة التي ستقام لي... هناك.»

فقالت الأم بلهجة تخللها الألم: «أعلم ذلك. ولكن زوجي، بلغ به السرور بأمر زواجك من اللورد والتنغهام كثيراً، بحيث لم أستطع قول أي شيء.»

فقالت دونيلا بلهجة متمردة: «إنه يريد التخلص مني.»

أجابت الأم: «ليس هذا هو السبب الوحيد، فهو يظن حقاً بأنك نلت افضل عرض للزواج من الممكن أن تناليه. انه معجب به إلى أقصى حد. فقد كانا في المدرسة معاً، ودوماً كانا صديقين حميمين.»

فقالت الابنة بمرارة: «ولكنه ليس هو الذي سيتزوجه بل أنا.»

قالت الأم: «كم أتمنى لو أستطيع مساعدتك، يا حبيبتي. وقد قلت له ان من الأفضل الانتظار إلى أن تقام حفلة تقديمك إلى المجتمع فقد تقابلين الشخص الذي ستحبينه.»

فسألتها: «وبماذا... أجاب؟»

أجابت بصوت خافت: «لقد غضب فقط.»

أدركت دونيلا أن أمها كانت تخاف بعض الشيء من زوجها، وليس لأنه غضب منها الآن.

فقد كانت ترى لأنها مدينة له بالكثير، من الخطأ أن تعارضه بشيء.

فقالت: «من المؤكد يا أمي، ان بإمكانك اقناعه... لينتظر شهرين... على الأقل. أو حتى انتهاء الصيف. إن معظم البنات تطول فترة خطوبتهن.»



فلم تجب الأم، بينما تابعت دونيلا تقول: «أعتقد أن السبب الحقيقي هو... غيرته مني... ويريدني الخروج... من بيته، بأسرع وقت... ممكن.»

بدا على أمها، عدم رغبتها في الاجابة على هذا الكلام. فابتعدت عنها وسألتها: «هل أنت سعيدة حقاً، يا أمي، بقدر ما كنت... مع والدي؟»

نظرت إليها أمها وقد تملكتها الدهشة لهذا السؤال وبدا التأثر في عينيها، لكنها اشاحت بنظرها بعيداً.

ومرّ صمت ثقيل الوطأة، وأخيراً قالت دونيلا: «لا بأس، يا أماه. ليس ثمة ما يدعوك لقول أي شيء. إنني أعلم أنه لو كان والدي موجوداً لما أرغمني على الزواج من رجل لا أحبه... وسأكرهه فيما بعد حتماً.»

فقالت أمها ضارعة: «آه، كلا. لا تتكلمي هكذا يا حبيبتي.»

«بل هي الحقيقة، يا أمي. لقد رأيته أمس مملاً لأنه كان يتكلم طوال الوقت عن نفسه. والآن، حين أتصوره زوجاً لي، أفكر في الهرب.»

فشبكت أمها يديها ببعضهما البعض: «آه يا حبيبتي، ما الذي بإمكاني فعله؟ لا أستطيع أن أتحمل شعورك هذا.»

نهضت دونيلا وابتعدت عن الأريكة نحو النافذة.

عادت تنظر إلى الخارج، ولكنها لم تكن ترى أشعة الشمس ولا الأزهار ولا الأشجار.

فتمتمت لا شعورياً منها: «أريد أن أهرب وأختبيء.»

وانبثقت في ذهنها فكرة، فكرة كانت مخيفة، بحيث بقيت لحظة لا تدرك ما تعني.

والتفتت إلى أمها. كانت هذه تبدو بالغة في الجمال، بالرغم من الشحوب في وجهها، كما كانت أكثر نحولاً مما كانت عليه قبل سفر دونيلا إلى الخارج.

فقالت: «لا تحزني يا أماه. سأفكر فيما عليّ فعله.»

فانهمرت الدموع من عيني اللايدي غرايسون وقالت: «إنني واثقة، يا حبيبتي، من ان هذا سيحدث، كما واعلم ان والدك كان يحبك، ودوماً كان فخوراً بك للغاية.»

فقالت دونيلا: «هذا ما أريدك أن تفكري فيه، ولهذا، سندع هذا الأمر حالياً، بين يدي والدي. وأنا واثقة من انه لن يتخلى عني.»

اجابت امها: «كيف سيتخلى عنك وهو الذي احبك كثيراً.»

وحده فاضيه
ليلاس



# الفصل الثاني

أمضت دونيلا فترة العصر مع أمها. خيّل إليها أن السيد ماركوس ينظر إليها متسائلاً وعلى كل حال، لم يأت أحد على سيرة اللورد والتنغهام.

ولكنها كانت تشعر بمرور الساعات بسرعة.

إنه سيأتي غداً ليطلب يدها وكله ثقة بموافقتها، وفكرت بمرارة: ليس لديّ... خيار آخر.

وإذا بفكرة الهرب تعود إلى ذهنها.

وعندما صعدت إلى غرفتها لترتدي ملابس العشاء، أخذت تنظر إلى ثيابها متسائلة عن الأثواب التي يمكن اخذها، لكن الأمر لن يكون سهلاً.

كما أن عليها أن تقرر كم من الوقت ستبقى بعيدة عن المنزل، كان الجواب على ذلك هو الوقت الذي سيستغرقه زوج أمها إلى ان يوافق على قرارها بعدم الزواج من اللورد والتنغهام.

ولم تتصور أن اللورد سيقبل رفضها بسهولة، فقد كان واضحاً اعتداده بمدى اهميته وكان يعتقد أن أية امرأة يطلب الزواج منها، لا بد وأن تقفز فرحاً لهذا الحظ السعيد.

حتى التفكير به جعل دونيلا ترتعد. وأدركت أنها تفضل الموت على الزواج منه، رغم ما في هذه الفكرة من جنون. ولكن المنطق الذي ورثته عن أبيها، أخبرها بأن لا حاجة بها لمثل هذه الأفكار المأساوية.

كل ما عليها أن تقوم به هو أن تبتعد لفترة قصيرة وعندما تعود، سيستجيب السيد ماركوس لرفضها.

لقد كانت تدرك أن ليس بإمكانها الاختفاء طويلاً، لسبب بسيط هو انه ليس بإمكانها إعالة نفسها. لقد كانت تعلم أنها إذا أرادت العمل كمربية أو كمرافقة، عليها أن تبرز شهادات ضمان. وإذا هي اعتمدت إلى تزوير واحدة، فمن المؤكد سيقبض عليها. وعند ذلك تحاكم بتهمة التزوير.

وأخذت مثل هذه الأفكار تهاجمها وتخيفها، ومع هذا، فقد كانت مصممة على عدم مواجهة اللورد والتنفهام غداً مهما كان الأمر.

ومرة أخرى، اتجهت بعد العشاء إلى البيانو ولم تعزف موسيقى تلك الأغاني المرحة التي كانت قد اختارتها الليلة الماضية، وبدلاً من ذلك امتلأ جوّ الغرفة بأنغام موسيقى شوبان وموزار الكلاسيكية. ورغم هذا، فقد ساورها شعور بأن زوج أمها ينظر إليها بامتعاض.

كانت واثقة من أن الموسيقى تقطع عليهما الحديث.

وعند الساعة العاشرة، قالت لهما: «تصبحان على خير.» ثم صعدت إلى غرفتها حيث أخبرت الخادمة التي تعتني بها بألا تنتظرها.

وبعد ذلك خلعت ثوب المساء. ووجدت، وهي تعلقه في الخزانة، حقيبة في اسفلها كانت قد اشترتها من فلورنسا لتضع فيها الكتب. لقد كانت كبيرة الحجم ولكن في الوقت نفسه، خفيفة الوزن وكأنما كان والدها يقود خطواتها، أدركت أن هذه الحقيبة مناسبة لامتعتها.



اختارت الثوب الذي سترتديه. ومع أنه كان جميلاً إلا أنه لم يكن بالغ في الاناقة بحيث يستدعي للانتقاد.

كان من القطيفة ذات اللون الأزرق القاتم، تعلوه سترة قصيرة.

كان لديها قبعة صغيرة أنيقة تتلاءم معه، وهكذا انتهت من المشكلة الأولى والآن، عليها أن تفكر في الأشياء الأخرى التي ستأخذها معها وحيث أن هربها في فصل الصيف، فقد وضعت ثوبين من الموسلين الخفيف في تلك الحقيبة.

ثم أضافت ثوباً آخر خفيفاً أبيض اللون يمكن ارتداؤه في المساء.

هذه الأثواب لم تأخذ سوى مساحة صغيرة من الحقيبة، حتى عندما وضعت أيضاً قمصان النوم والمعطف المنزلي من الموسلين ايضاً، بقي في الحقيبة مكان لخفّين وكذلك لفرشاة الشعر وعلبة لدبابيس الشعر. وكذلك لعدد من الأشياء الأخرى مثل مناديل اليد والاسفنجة وفرشاة الاسنان.

كانت واثقة من أنها ستتذكر أشياء أخرى أثناء الليل.

أما المشكلة الآن، فقد كانت النقود. وكان ما يزال لديها القليل منها كانت قد بقيت من نفقات رحلة العودة من السفر.

وكان زوج أمها أرسل لها شيكاً سخياً لكي تتمكن من منح الخدم والحمالين في محطة القطار اجرتهم، وحدثت نفسها بأنها بحاجة إلى أكثر من هذا المبلغ المتبقي، ولكنها ما لبثت أن تذكرت أن حقيبة يد أمها تمتلىء دائماً بالنقود، وقررت أن تطلب منها مبلغاً في صباح الغد.

عندما خلعت ثيابها وجلست على السرير، أخذت تفكر في مبلغ غضب زوج أمها عندما يكتشف هربها ولكنها كانت واثقة من أن والدها يوافقها على ما تقوم به.

لقد قال لها مرة: «عليك دوماً أن تتبعي نجمك.»

وعندما نظرت إليه متسائلة، قال يوضح لها: «عندما أكون في برج القيادة في السفينة، أنظر إلى السماء، فأشعر أن هناك نجماً يرشدني ويمكنني الاعتماد عليه.»

فسألته: «أتظن أن نجمك يخبرك بما عليك أن تقوم به، يا والدي؟»

أجاب: «إنني واثق من أن الأفكار التي تراود ذهني قد وضعها من هو أعلم مني.»

كانت دونيلا تتذكر هذا على الدوام، فكانت عندما ترفع بصرها إلى السماء، تتساءل عما إذا كان نجمها بين تلك الألوف من النجوم التي تتألق فوق رأسها.

وقالت تحدث نفسها، سأتبع نجمي، يا والدي ولكن عليك أن تساعدني... أنت أيضاً.

• • •

استيقظت دونيلا باكراً دون أن يوقظها أحد، ثم ارتدت ثوبها الجميل بكل عناية، ولكنها لم تضع القبعة على رأسها ولم ترتدي السترة المخملية القصيرة.

أخذت تنتظر إلى ان سمعت صوت مغادرة السيد ماركوس من غرفة أمها، ليدخل إلى غرفته الخاصة.

فقد كان من الذين يستيقظون باكراً، وكانت تعلم أنه



سيذهب إلى الاصطبلات إما ليمتطي صهوة حصانه والذهاب في نزهته الصباحية، وإما ليتفقد جياده قبل الإفطار.

انتظرت قليلاً لتتأكد من أنه لن يعود ليرى أمها قبل النزول إلى الطابق الأسفل.

وعندما تأكدت من انصرافه، سارت إلى غرفة أمها، حيث كانت ما زالت في السرير.

ابتسمت مسرورة لرؤية ابنتها، وقالت: «إنني اشعر بالكسل، يا حبيبتي ولكنني اعاني من صداع خفيف، ما يجعلني أفكر في البقاء في السرير إلى حين موعد طعام الغداء.»

فقالت دونيلا: «انه الرأي الصائب، يا أمي. ولكن سبب قدومي إلى هنا هو لأطلب بعض النقود منك.» ثم انحنت تقبلها.

فسألتها أمها: «بعض النقود؟»

«أريد أن أذهب إلى القرية لأرى إن كنت سأجد سوط جديد للركوب. فإذا لم أجده هناك، ربما أذهب إلى قرية سانت البانز.»

سكتت، وقبل أن تقول أمها شيئاً، تابعت تقول: «لا أريد أن أطلب من زوجك أكثر مما كان قد أعطاني.»

فقالت أمها: «كلا، بالطبع. ستجدين الكثير من النقود في حقيبة يدي فخذي منها ما تشائين.»

سارت دونيلا إلى حيث تعرف أن أمها تحتفظ بحقيبة يدها، ثم فتحتها لتجد من النقود أكثر مما كانت تتوقع.

لم تقل شيئاً، ولكنها أخذت كل ما وجدته تقريباً، ثم قالت وهي تضعه في جيبها: «أشكرك يا أمي.»

ثم عادت إلى السرير تقبل أمها بحنان بالغ وهي تقول: «انتبهي إلى صحتك يا أماه، ولا تعملي كثيراً.»

أجابت الأم: «سأحاول أن لا أتعب نفسي. ولكنك تعلمين أن زوجي لا يقوم بأي شيء من دوني. وقد قمنا بعدد من الأسفار الطويلة مؤخراً ما جعلني اشعر بالتعب والإرهاق.»

فقبلتها ابنتها مرة أخرى قائلة: «لشدّ ما أحبك يا أمي.»

أجابت أمها: «وأنا أحبك، يا حبيبتي.»

وبدا وكأنها تريد قول شيء آخر، ولكنها عادت فغيرت رأيها وكأنها شعرت بأن ذلك سيكون خطأ منها. ثم أسرعت دونيلا بالخروج إذ لم تكن ترغب في أن يتجه الحديث نحو اللورد والتنفهام.

لكنها عندما وصلت إلى غرفتها، أخذت تمسح الدموع من عينيها.

كان من الصعب عليها أن تترك أمها بعد أن كانت غائبة عنها كل تلك المدة، وحدثت نفسها بأنها ستتسبب لها الحزن والأسى.

لكنها أخذت تخفف عن نفسها بأن ما ستقوم به لا بد وأن يحمل السيد ماركوس على تغيير رأيه، وكانت قد سبق وكتبت الرسالة التي ستتركها خلفها والموجودة الآن في حقيبة يدها التي وضعت فيها كل ما أخذته من أمها من نقود.

حملت حقيبة ملابسها بعد أن ارتدت سترتها المخملية



القصيرة ووضعت على رأسها القبعة، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل من السلم الخلفي الذي يؤدي مباشرة إلى الاصطبل.

وكانت أثناء ذلك ترجو وتتمنى أن يكون السيد ماركوس قد ذهب في نزهته المعتادة، فلا يأخذ في التحقيق معها عن المكان الذي تقصده.

وكانما استجيب لدعائها، فقد وجدت، حالما برزت من الطريق المؤدي إلى الاصطبل، زوج أمها يبدو من البعيد.

كان متجهاً نحو السهول الواسعة حيث يتمكن من العدو بجواده. أمرت بأن تجهز لها العربة الخفيفة التي اعتادت أمها استخدامها في الرحلات القصيرة، قائلة في نفسها بأنها ستأخذ بن معها وكان هذا سائساً صغير السن يعمل في هذا الاسطبل منذ قبل سفرها.

كانت تعلم أنه بالغ في الغباء، رغم حسن رعايته للجياد.

وهكذا سارا نحو القرية بصمت.

لم يكن لدى دونيلا اية نية في التوقف عند الحوانيت التي تبيع كل شيء، بل تابعت سيرها إلى أن وصلت إلى الطريق العام الذي يخترق هيرث فوردشاير نحو مناطق الريف.

وعند أول تقاطع للطرق، أوقفت الجواد وقالت للفتى: «سيأتي بعض الأصدقاء ليأخذوني من هنا، فلا حاجة بك للإنتظار. عد إلى المنزل وعندما تصل إلى هناك قدّم هذه الرسالة إلى امي.»

ولم يظهر بن أيّ دهشة لهذه الأوامر الغريبة، بل أخذ

الرسالة ودسّها في جيبه، ثم ناولته دونيلا لجام الحصان فرفع يده إلى جبينه محيياً، واستدار بالعربة مبتعداً.

بقيت تراقب العربة إلى أن غابت عن عينيها كلياً، ثم أخذت تنظر حولها لعلها تجد اية عربة سفر عمومية.

كانت واثقة من أن واحدة لا بد أن تأتي من اتجاه أو آخر، لم يكن لديها رغبة محددة في اي اتجاه معينّ مفضلة ترك كل شيء للصدف. فسواء كانت العربة متجهة نحو لندن، أم نحو الاتجاه المضاد، هذا لا يهم.

انما ما كان يقلقها، هو أن تكون العربة العمومية قد مرّت قبل وصولها.

ذلك أنها إذا هي اضطرت للانتظار فترة طويلة، سيدركها زوج أمها حتماً أثناء بحثه عنها.

وأخذت تدعو وترجو أن لا يحدث هذا، بعدها رأت عن بعد، سحابة من الغبار آتية من ناحية لندن، ولم تمر سوى ثوان قليلة، حتى انكشفت السحابة عن عربة عمومية تقترب منها شيئاً فشيئاً.

كانت عربة جديدة دهنت بعناية ويجرها أربعة جياد، وإذ كان النهار رائعاً مشمساً، فقد كان عدد من المسافرين يجلسون على السطح.

واستبشرت هي خيراً، إذ كان هذا يعني أنه يوجد لها مكان في الداخل.

وعندما اقتربت منها العربة، لوحت لها بيدها، فتوقفت لينزل منها مساعد السائق وفي يده النفير النحاسي، وفتح لها باب العربة وهو يسألها بأدب: «أليس لديك أمتعة؟»



أجابت وهي تشير إلى حقيبة ملابسها: «هذا كل ما لديّ.»

فأخذها من يدها ووضعها في المكان المخصص للأمتعة الخفيفة في المؤخرة.

ثم وقف جانباً ليفسح لها المجال بالصعود.

شعرت بالارتياح إذ لم يكن المكان مزدحماً. كانت هناك امرأة عجوز تبدو وكأنها زوجة لأحد المزارعين، تجلس في الزاوية وبجانبها سلة تحتوي على البيض وعلى دجاجتين.

وفي الزاوية الأخرى المواجهة لها، جلست فتاتين بغاية الاناقة والجمال.

وإلى جانبهما، جلس رجل بكامل اناقته، وهذا بغريب أيضاً بالغ الأناقة بالنسبة إلى أهل الريف. وإذ رآها تهم بالجلوس بالطريقة المعاكسة، بسبب ازدحام العربة، وقف قائلاً: «اسمحي لي يا سيدتي بتقديم مقعدي إليك حيث ستكونين أكثر راحة.»

فهتفت دونيلا: «هذا كرم اخلاق منك.»

جلس الرجل في المكان الذي كانت ستجلس فيه، عندما جاء مساعد السائق ليسألها: «والآن يا سيدتي، ما هو المكان الذي تقصدينه؟»

كانت دونيلا قد نسيت أن عليها دفع أجرة الرحلة، فأجابت: «إنني لست واثقة بعد ما هي محطتك النهائية؟»

أجاب: «إنها قرية ليتل فوردينغ بعد اكسفورد.»

فترددت وقد شعرت بشيء من الخوف إذا وصلت إلى اكسفورد في ذلك الوقت المتأخر من النهار، عندها لن تعرف إلى أين بامكانها الذهاب أو المبيت.

وقالت إحدى الفتاتين: «قرية ليتل فوردينغ هي المكان الذي نقصده، سمعت أنها جميلة جداً.»

فقالت دونيلا: «إذن فسأذهب إلى هناك.»

طلب منها مساعد السائق الأجرة وقد نفد صبره، فناولته المبلغ.

أغلق الباب ثم تسلق الى مقدمة العربة ليجلس قرب السائق، وما أن تحركت بهم حتى اخذ ينفخ في النفير.

استقرت دونيلا في تلك الزاوية شاعرة بشيء من الراحة، استرعى انتباهها، أن الرجل الجالس قبالتها، ينظر إليها بإعجاب ساخر.

الآن، وبعد أن تمكنت من النظر إليه عن قرب، رأت كم هو بالغ في أناقته.

كان يرتدي معطفاً ثقيلاً ويضع في ربطة عنقه دبوساً يعكس أشعة الشمس المتسربة من النوافذ، كما كانت هناك قرنفلة صفراء في عروة سترته.

كما كان قد وضع قبعته العالية بجانب حقيبة ملابسها، قال يحدثها: «أمامنا رحلة طويلة.»

فسألته: «متى تتوقع أن تصل؟»

أجابت إحدى الفتاتين من الناحية الأخرى: «في الوقت الذي ينبغي علينا فيه تبديل ملابسنا وهذا يعني بعد وقت طويل.»

فنظرت إليها دونيلا بدهشة، ولكنها ما لبثت أن أدركت أن ذلك حقاً سيكون، هذا اذا اخذنا بعين الاعتبار ما كانت ترتديه الفتاتين.

كانت قبعة كل منهما، مزينة بالريش كما كانت ملابسهما



ذات ألوان زاهية ما بين الأزرق المتألق، والوردي الزاهي، هذا إلى الدانتيل المطرّز حول الأكمام وكذلك حول العنق والتنورة.

وكأنما قرأت الفتاة ما يدور في ذهنها وهي تتساءل عمن عساهم يكونون، قالت ضاحكة: «إننا قادمون من لندن.»

قالت ذلك بطريقة فكاهية لم تستطع دونيلا معها منع نفسها من الضحك.

وقال الرجل الجالس قبالتها: «يجب أن نعرفك بأنفسنا يا سيدتي، لا أظنك سمعت باسمي، وهو بازيل بانكس.»

فأجابت دونيلا: «لا، لم أسمع باسمك مع الأسف. ولكنني قادمة حديثاً من الخارج حيث أمضيت أكثر من عام.»

فقال: «حسناً، قد يكون هذا من جملة الأسباب. ولكن ما يهم، هو أن شعب لندن قد سمعوا باسم بازل بانكس وأجراسه الثلاثة.»

فاعترضت الفتاة الجالسة بجانب دونيلا: «ولكن ثمة اثنان فقط هذا النهار.»

فقال بازيل بانكس موافقاً: «هذا صحيح إنهما اثنان فقط هذا النهار. وكل ما أرجوه، هو أن لا يحسم السيد كثيراً من الأجر.»

فقالت: «الأمر ليس بأيدينا إذا أراد أن يفعل ذلك، حتى ولو أحضرنا ميلي معنا، مما كانت لتفيدنا بشيء بعد السعال الحاد الذي اصابها، والحرارة المرتفعة.»

فبان الارتباك على دونيلا ولكن السيد بانكس قال يشرح لها الأمر: «ميلي هي ثالث أجراسي، وعندما مررنا عليها

لإحضارها معنا هذا الصباح، كانت مريضة حقاً، هذا ما اضطرنا إلى تركها والمجيء من دونها.»

فسألته: «وماذا ستفعلون؟»

أجاب: «إننا نقوم بالغناء والرقص، ولنا اسم كبير ولامع في صالات ايفانز للعشاء.»

وإذ رأى أن دونيلا لم تسمع بهذا الاسم من قبل، سحب من جيب سترته بطاقة قدمها إليها وهو يقول: «هذه سترشدك الى المكان الذي كنا نؤدي فيه العروض منذ أكثر من شهر، فإذا صادف وذهبت إلى لندن، فأنا واثق من أنك لن تستمتعي بالطعام فقط، ولكن بكل العروض المسلّية التي ترافقه، كذلك.»

فقالت الفتاة التي تجلس إلى جانبها: «معه حق، كل شخص يقول إنها أفضل صالات العشاء في المدينة، كما أننا أفضل مقدمي العروض في كافة أنحاء كوفنت غاردن.»

ابتسم بازيل بانكس وقال بزهو: «هذا صحيح، هذه كيتي التي يرتفع التصفيق لها إلى حد كبير، وتلك التي تجلس في الجانب الآخر، ديزي.»

ابتسمت دونيلا لهما، فسألها السيد بانكس عند ذلك: «هل تشرفيننا بذكر اسمك؟»

أجابت: «نعم، بالطبع، اسمي هو دونيلا كولوين.»

وما أن نطقت باسمها، حتى تساءلت عما إذا كانت قد أخطأت بذكر اسمها الحقيقي.

لكنها ما لبثت أن حدثت نفسها أنه من بعيد الاحتمال أن يتوقع زوج أمها ايجادها في عربة سفر عمومية، حتى ولو سأل السائق فإن هذا لا يعرف اسمها.



ولا شك أن السيد بانكس وجرسيه، سيرجعون إلى لندن بعد تقديم العرض. نظرت إلى البطاقة التي أخذتها من السيد بانكس وقرأت: صالات ايفانز للعشاء، كوفنت غاردن، مختارات ومتنوعات، مونولوجات، غناء كل مساء يبدأ الساعة الثامنة، بازيل بانكس وأجراسه الثلاثة.

وعندما أعادتها إليه قالت: «يبدو هذا رائعاً، أتمنى لو بامكاني رؤية عروضكم تلك.»

فقال: «وأنا أيضاً أتمنى ذلك، من المؤسف أنك لست مدعوة إلى منزل السيد.»

فسألته: «ومن يكون؟»

فقد شعرت بخوف مفاجيء، ولو أن ذلك بعيد الاحتمال، في أنه قد يكون اللورد والتنغهام.

شعرت بارتياح بالغ عندما أجابها قائلاً: «إنه ماركيز هانتنفورد.»

ولم تكن دونيلا قد سمعت باسمه من قبل، فسألته: «هل هو ذو شأن كبير؟»

ابتسم السيد بانكس وقال: «إن السيد يقيم هذا النهار سباق النقاط للفرسان في أرضه كما سيقيم هذا المساء حفلة عشاء فاخر سنؤدي أثناءها عروضنا.»

فبدا لها هذا غريباً نوعاً ما، ولكنه أثار اهتمامها فسألته: «هل تؤدون العروض في غرفة الطعام؟ أم ان لديه مسرحاً خاصاً؟»

«أظن ان العروض ستكون في غرفة الطعام، فقد أقام بعض الاشخاص مسرحاً في آخر الغرفة، وزينه بأواني

الزهور، بينما في أماكن أخرى، والحق يقال، لم نحظ بشيء من ذلك.»

فسألته: «هل تجدون صعوبة في تقديم العروض أمام قلة من المشاهدين؟»

أجاب: «كلا، ليس ثمة صعوبة، لقد أدينا العروض في كل أنواع المنازل ولكن ماركيز أوف هانتنفورد هو شيء آخر.»

فسألته: «لماذا؟»

«ألم تسمعي به قط؟»

أومأت برأسها نافية.

فقال: «حسناً، إنه يملك اروع الجياد، وقد فاز في سباق الدربي وكاس اسكوت الذهبية.»

ثم تابع يقول: من المؤسف أن السيدة لن تتمكن من رؤيته.»

فقالت ديزي: «فلنأخذها معنا، ويمكنك أن تقول إنها الجرس الثالث.»

حدّق بازيل بانكس في ديزي لحظة ثم هتف يقول: «إنها ليست بالفكرة السيئة، ولكنني لا أظن أن الآنسة كولوين سيعجبها هذا.»

فقالت كيتي: «ولِمَ لا؟ إنها ليست من ذلك الصنف المتكبر من الناس الذين يتعالون علينا.»

واستدارت نحو دونيلا: «هل أنت كذلك، يا عزيزي؟»

أجابت دونيلا: «أرجو ألا أكون كذلك، ولكنني لا أدري ماذا تعنين بالناس المتعالين.»

فقالت كيتي: «سأخبرك. عندما نذهب إلى منزل لنؤدي



فيه عروضنا، حتى ولو لم يكن هناك سيدات، فمدبرة المنزل، والطاهية وبقية الخدم يتصرفون وكأننا شيء تافه لا نستحق أي تقدير.»

وكانت دونيلا تعلم أن هذا صحيح.

إنها تدرك تماماً كيف يتصرف المستخدمون في منزل زوج أمها بطريقة متعالية ومبالغة في التزمت. فهم حتماً كانوا لينظروا إلى كيتي وديزي بأعين تنطق بالاحتقار.

وانتبهت إلى أن كيتي كانت تنتظر منها الجواب، فقالت بعد لحظة: «إنني أعلم أن الناس في العديد من البلدان، يصدمهم مظهر الممثلات.»

فقال بازيل بانكس: «هذا صحيح تماماً، ولكنني دوماً أقول، علينا أن نعيش وندع غيرنا يعيش.»

أجابت دونيلا: «أنا واثقة من أن الحق معك، فوالدي والذي كان بحاراً، لم يكن ينتقد الأجانب كما يفعل بعض الانكليز.»

وابتسمت قبل أن تتابع قائلة: «لقد اعتاد أن يقول، لهم عاداتهم ولنا عاداتنا، وعلينا أن نحترم ما يقومون به لا أن نحتقره.»

فصفق بازيل بانكس بيديه وقال: «هذا صحيح، وأنا واثق من أنك يا آنسة كولوين تعتبريننا مخلوقات بشرية كغيرنا من الناس.»

قالت دونيلا باسمة: «طبعاً، كما أنني أعتبر وصولك إلى هذه الدرجة من النجاح التي تجعل المشاهدين يصفقون لك كثيراً، وان يطلب الماركيز منك الذهاب إلى منزله لتسلية ضيوفه، اعتبر كل هذا ذكاء منك ومهارة لا تقدر.»

فقال بازيل بانكس يخاطب الفتاتين: «هذا كلام يعجبني سماعه، فما رأيكما؟»

هتفت الفتاتان بصوت واحد: «يعجبنا نحن أيضاً، بالطبع.»

وقالت ديزي: «إذا كانت الآنسة ذاهبة إلى قرية ليتل فوردينغ مثلنا، لماذا لا تأتي معنا إلى المنزل لتتفرج على عروضنا من مكان جانبي؟ وعلى كل حال، الماركيز يتوقع منك ان تحضر معك ثلاث فتيات.»

فبسط بازيل بانكس يديه قائلاً: «هل رأيت؟ لقد أحبتك الفتاتان، إنهما تريدانك أن تشاهدي مقدار مهارتهما، ولكنني اعتقد ان لديك أصدقاء ينتظرونك في القرية.»

أجابت دونيلا: «في الواقع، أنا لم أسمع في حياتي باسم تلك القرية سوى منك. وقد يكون بإمكانك أن تخبرني عما إذا كان هناك فندق هادىء أبيت فيه هذه الليلة.»

حدق بازيل بانكس فيها، ثم قال: «أتريدين القول انك بمفردك دون إنسان يرعاك؟»

فأجابت: «نعم، مع الأسف. ولكنني ساكون بخير.»

فقالت كيتي: «عليك أن تكوني حذرة. إنك لا تعلمين ما قد تصادفينه في هذه الأماكن الغريبة، صحيح أن الأمر سيء في لندن، ولكن الهدوء الشديد، هنا يجعل الخوف يتسلل إلى نفسي.»

وكان بازيل بانكس ينظر إلى دونيلا، ليقول بعد لحظة: «إنك جميلة جداً، يا آنسة. ومن المستغرب أن تتجول امرأة بهذا الجمال بمفردها في هذه الأنحاء.»

وفجأة شعرت دونيلا بشيء من الخوف، لقد بدا لها



الهرب سهلاً في البداية، ولم تفكر بما قد تصادفه من متاعب.

قالت بشجاعة: «أنا... أنا واثقة من... أنني ساكون بخير. لقد كان في القرية التي سكنت فيها في ورسستر شاير، فندق جميل جداً يديره زوجان عجوزان لا يسمحان لأي من المشاكسين بالاقامة فيه.»

فقال السيد بانكس: «قد تكونين محظوظة وقد لا تكونين. لقد دخلت منذ أيام فندقاً في احدى القرى، فاذهلني ما رأيته من تصرفات الزبائن... كانوا يستعملون الالفاظ القبيحة ويسرقون من بعضهم البعض، فلم أصدق كيف تمكنت من الهرب ونجوت بنفسي.»

اتسعت عينا دونيلا. فهي لم تكن تعرف أن مثل هذه الأمور تحدث فعلاً، وإنما كانت تتصور أنها ستجد مكاناً تقيم فيه بغاية السهولة هذا ما ذكرها بالسيد هيتشين الذي كان يعاملها بكل احترام منذ ان كانت طفلة، وكانت زوجته غالباً ما تعطيها إناء مليء بالمخللات صنع البيت لتأخذه إلى أمها.

ثم أخذت تخفف عن نفسها بانه إذا لم تعجبها الأمور في قرية ليتل فوردينغ، فستذهب إلى مكان آخر.

ونظرت إلى بازيل بانكس فأدركت أنه كان ينظر إليها بإمعان لا بد أنه تكهن ما كان يجول في ذهنها.

انحنى إلى الأمام قائلاً لها: «إذا كنت بمفردك حقاً، يا آنسة كولوين، فلماذا لا تأتين معنا؟ سنمضي هناك ليلة واحدة فقط، بعدها نعود إلى لندن في صباح الغد، لن يلقي أحد علينا أيَّ سؤال، إذ أنهم يتوقعون أن يكون معي ثلاث فتيات.»

فقالت كيتي: «لو وصلت إليهم وبرفقتك فتاتين فقط، سيكون عليك أن تشرح لهم عن الذي جرى للفتاة الثالثة، إنهم يقولون عن السيد دائماً بأنه لا يتهاون في أيّ من طلباته، ولا يتسامح في أي إخلاف بالوعد.»

فقال بازيل بانكس: «لقد سمعت أنا أيضاً بذلك. ولكن السيد يعاملني دوماً بمنتهى الاحترام.»

قالت ديزي: «هناك دائماً بداية لكل شيء.»

فقال: «لا بأس، لا بأس إن ما أراه، يا آنسة كولوين، هو أن تأتي معنا فتوفري عليّ مشقة الإجابة على أسئلته.»

قالت دونيلا باستياء: «لا أدري في الحقيقة، لماذا قد يلومك السيد إذا مرضت إحدى فتياتك.»

أطلق بازيل بانكس ضحكة قصيرة وقال: «إنك لا تعرفين أصحاب الألقاب الرنانة، فهم يصرّون على الحصول على كل ما يدفعون ثمنه بالكامل، ولا يهمهم أي أعذار أو مبررات.»

فقالت: «أظن أن هذا ليس بالعدل.»

«ليس هناك ما يسمى بالعدل حين تدخل النقود في قلب الموضوع. إما أن تقدمي البضاعة، وإما لا نقود هناك.»

فسألته: «هل تعني حقاً أن ماركيز هانتنفورد سيرفض أن يدفع لك الأجرة إذا مرضت إحدى فتياتك؟»

أجاب: «قد يدفع وقد لا يدفع، ولكن من المؤكد أنه لن يكون مسروراً من الوضع خاصة عندما يخطط لشيء ثم يجد في النهاية أنه لم يحصل على ما كان ينتظره.»

قالت كيتي ضارعة: «آه، هيا تعالي معنا، إنك من الجمال



بحيث لا يمكن لأحد أن يدرك أنك لست ميلي إذا أنت وضعت المساحيق التي تستعملها على وجهك.»

فقال بازيل بانكس موافقاً: «هذا صحيح. ثم إن الفتيات يا آنسة كولوين، يضعن الشعر المستعار فيجعلهن يظهرن متشابهات.» وابتسم ثم أضاف يقول: «عندما انشأت فرقتي هذه، فكرت في أن اطلق عليها اسم بازيل بانكس والأخوات الثلاث، ولكن احد الاشخاص قال لي أن أدعوهن بالأجراس.»

سألته: «هل افهم من كلامك، إن فتياتك الثلاث يرتدين زياً واحداً؟»

أجاب: «آه، إنهن يغيرن ملابسهن عدة مرات. لا أدري إذا كنت تستطيعين الغناء.»

فترددت دونيلا، ثم قالت: «لقد تلقيت دروساً في الغناء مع زميلاتي في المدرسة، وكانت تجرى لنا المسابقات باستمرار.»

سألها: «أي نوع من الغناء؟»

فأخذت دونيلا تحدثه كيف أخذت كل واحدة تغني الأغاني الشائعة في بلادها وكيف نالت هي الجائزة الأولى لأن أمها كانت قد أرسلت إليها أكثر الأغاني شعبية وذلك من صالات الموسيقى في لندن.

فقال: «لا أصدق ذلك، فالأمر رائع إلى حد لا يصدق. أخبريني الآن، يا آنسة كولوين، عن الاغاني التي قدمتها في المسابقات.»

فأخبرته كيف غنت اغنية تشارلي جيلبرت ولكن ما أعجبهم أكثر من هاتين الاغنيتين، أغنية صوت من الظلام.

فهتف السيد بانكس: «حسناً، كل ما أستطيع قوله هو أن الحظ سيحالفنا، فمظهرك وكذلك بارتدائك ملابس ميلي، ستجعلين السقف يهبط على الأرض لشدة التصفيق.»

فقالت: «ولكنك لم تسمعني بعد.»

قال: «إنني واثق كثيراً بأنك رائعة.»

فقالت ميلي: «إنها رائعة طبعاً، كما أنها بالغة الجمال... أجمل من ميلي بكثير.»

فقال بازيل بانكس: «هذا ما أراه. ولكن عليها أن تسمح لنا بأن نضع على وجهها المساحيق، إن الرجال المدعوين سيتملكهم الضيق إذا ظنوا أن بينهم سيدات محترمات.»

ساد صمت قصير سألت دونيلا بعده: «ولكن... لماذا قد يتملكهم الضيق لذلك؟»

أجاب بازيل بانكس: «لأنها حفلة تقتصر على الرجال، يا آنسة كولوين.»

فسألته: «أتعني أن الماركيز سيقيم حفلة للرجال فقط؟»

تردد السيد بانكس برهة، ثم قال: «طبعاً، وأحياناً في مثل هذه المناسبات يحضر الرجال صديقاتهم معهم.»

وكان يتكلم بطريقة ملتوية وكأنه لا يريد أن يفصح أكثر من ذلك.

فلم تشأ دونيلا أن تضغط عليه.

بدا لها هذا بالأمر الغريب، ولكن كل ما كانت تفكر فيه، هو أنها إذا ذهبت مع هؤلاء الناس اللطفاء، فهي لن تقلق على مصيرها، على الأقل بالنسبة لتمضية هذه الليلة.



فقد يكون من الصعب عليها أن تجد لنفسها غرفة في هذه القرية الغريبة التي لا تعرف فيها أحداً.

وأدركت أنها لم تفكر في الأمر جيداً قبل هروبها من منزل زوج امها، كما أنها لم تفكر في ما عليها أن تفعله أثناء اختبائها.

فإذا هي وافقت السيد بانكس على ما يطلبه منها، فبإمكانها، على الأقل البدء صباح الغد في التفكير في وضعها، وسيكون لديها الوقت الكافي لتقرر إلى أين يمكن ان تذهب.

وحدثت نفسها بأنها ستذهب إلى القرية لتلقي نظرة عليها، فإذا وجدت أن الفندق فيها يؤمه الرعاع والمشاكسون، فستذهب إلى اكسفورد أو إلى أيّ قرية أخرى تكون أفضل حالاً منها.

كانت تجد كل هذه الأمور غامضة ومبهمة، ولكنها كانت خائفة رغم عدم اعترافها بذلك.

لقد بدا لها الهرب، الليلة الماضية، لكي تجعل السيد ماركوس يتخلى عن الضغط عليها للقبول بهذا الزواج، بدا لها ذلك سهلاً تماماً. ولكن الآن يبدو أن هنالك مشاكل أخرى، مشاكل يمكن أن تخيفها، لا بل بقدر ما يخيفها الزواج من اللورد والتنغهام.

وأخيراً، استقر رأيها، فقالت له: «إذا كنت تريدني حقاً، وإذا كنت واثقاً من أنني لن أكون عبئاً ثقيلاً عليك، فسآتي معكم.»

أجاب: «يسرنا أن تكوني معنا، وفي الحقيقة أنا شاكر لاخراجك لي من هذا المأزق.»

قالت كيتي: «أريدك أن تشاهديني مع ديزي ونحن نقدم العرض. الجميع يقول إننا ماهرتان، ولكن لم يسبق لنا وان شاركنا العرض سيدة محترمة.»

فقالت ديزي: «هذا صحيح، فنحن نعرف أنك سيدة محترمة رغم أنه لا ينبغي أن يعرف السيد بذلك.»

فقال بازيل بانكس بصوت جاد: «هذا صحيح، وعلينا أن نحاذر من ارتكاب أي غلطة تجعله يفهم منها ذلك.»

فقالت كيتي: «أولاً، من الخطأ أن تستمر في مخاطبتها باسم الآنسة كولوين.»

قال السيد بانكس: «معك حق.»

ونظر إلى دونيلا قائلاً: «أتمانعين في أن أدعوك باسمك دونيلا؟ إنه اسم جميل، وهو أيضاً مسرحي.»

قالت: «ليس لدي مانع طبعاً، وأنا أوافقك على أن من الخطأ أن ندع الماركيز يعلم بأنني لست الشخصية المفروض أن تكون.»

فقال: «حسناً، أنا لن أطلب منك شيئاً لا تستطيعين القيام به. فإذا وصلنا إلى هناك الساعة الرابعة، سيكون لدي الوقت الكافي للإستماع على أغانيك التي ستغنينها للإداء، وعدا ذلك، ما عليك سوى أن تظهري جمالك وان تبقي في المؤخرة.»

فقالت دونيلا: «هذا ما أريد فعله.»

ولكنها لم تستطع إلا وأن تشعر بالقلق.

ربما لن يعجب بازيل بانكس بصوتها عندما يسمعها تغني، ولكنها ما لبثت أن تذكرت، بأن كل شخص في المدرسة كان قد اعجب بصوتها واعتبروه جميلاً.



وحيث انها اعتادت أن تكون في فرقة المنشدين في المدرسة، فقد كان يطلب منها احياناً، أن تنشد وحدها في المناسبات الخاصة.

وحدثت نفسها بأنها ستكون على ما يرام، وعلى كل حال، فهي ستغني في غرفة طعام وهذه، لا يمكن أن تكون بالغة الإتساع.

ولا بد أن ما كانت تفكر فيه كان مرتسماً على وجهها لأنه انحنى إلى الأمام وقال: «لا تقلقي نفسك، يا دونيلا فستكونين رائعة. وسنبذل الجهد في رعايتك. أليس كذلك، يا بنات؟»

فقالت كيتي: «طبعاً، لا أريدك أن تنامي بمفردك في فندق كريه قد يكون فيه جرذ.»

فضحكت ديزي: «الأكثر احتمالاً هو أن الفئران تملأ ممرات الفندق.»

ومرة أخرى، ارتجفت دونيلا، وحدثت نفسها بأنه إذا كانت الأمور ستتعقد إلى هذا الحد، فسيتوجب عليها أن تعود إلى البيت حالا. وربما ليس اللورد والتنغهام من السوء مثل بعض الاشخاص الذين قد يهينونها لأنها بمفردها.

وكانت كيتي قد ابتدأت بالتحدث عما سترتديه: «إن شعرنا المستعار في منتهى الجمال بلون ذهبي مثل شعرك، فقط لا يتخلله اللون الأحمر كما أنه اجعد، ودوماً يتعالى التصفيق كلما ظهرنا على المسرح.»

فقال بازيل بانكس باسماً: «هذا صحيح، لقد كانت فكرتي في أن اجعلهم متشابهات، لا بد أن ينسخ البعض هذه

الفكرة سواء كان ذلك عاجلاً أم آجلاً، ولكننا حالياً منفردين.»

قالت ديزي: «نعم، هكذا نحن، ثم اننا نقوم بإداء شيء خاص نحتفظ بسره لأنفسنا.»

قال بازيل بانكس بحدة: «حسناً، ليس ثمة فائدة من إزعاج دونيلا اكثر من ذلك.»

ولم تفهم دونيلا السبب لماذا قد تنزعج، ولكنه غير الموضوع بسرعة.

وما لبثت أن حدثت نفسها بأنها محظوظة على كل حال، إذ وجدت مكاناً تبيت فيه هذه الليلة.

قد لا يعجب أصدقاؤها الجدد أمها، ولكن والدها كان سيفهم، وسيقدّر هذا الموقف.



# الفصل الثالث

وقفت العربة أمام فندق صغير لتناول طعام الغداء، وحجز بازيل بانكس مائدة لأربعة أشخاص. وهكذا لم يكن عليهم أن يجلسوا مع أولئك الرجال المسافرين اللذين كانوا يجلسون على سطح العربة.

وعلى كل حال، فقد أخذوا يسألون كيتي وديزي عن السبب الذي جعلهما لا تجلسان معهم على السطح.

فقالت كيتي: «خفت أن تدفعني من على السطح.»

قالت ذلك ضاحكة ما بدت معه في غاية الجمال ما جعلها تفهم سبب قول الرجل لها: «هيا، لا حاجة بك للخوف لأنني سأمسك بك جيداً.»

فردت عليه كيتي بوقاحة: «وهذا ما أنا خائفة منه.»

ضحك بقية الرجال، بينما شعرت دونيلا أن أمها لو كانت موجودة لأصيبت بالصدمة، ولكنها اعتبرت كل هذا مجرد مزاح وسخرية.

لقد كانت واثقة من أن بازيل بانكس يرعى الفتيات ويحميهن إذا حدثت مشكلة ما.

فهو عادة، يحتفظ برصانته دون أن يتبادل المزاح مع الآخرين.

من الواضح أنه يعتبرهم دونه مقاماً. فقد كان يبدو أكثر أناقة منهم بكثير. وعندما يضع قبعته العالية مائلة إلى جانب رأسه، فهو يبدو غريباً في منطقة ريفية كهذه. طعام

الغداء الذي قدم إليهم لم يكن جيداً، ولكن كان هناك الكثير من الخبز والجبن على كل حال. كان واضحاً من أن السائق ومساعده في عجلة من امرهما لمتابعة السير.

تابعوا الرحلة، والسائق يحثّ الجياد على التقدم بسرعة بصرف النظر عن وزن العربة، الذي ازداد بركابها وحمولتها.

وتذكرت دونيلا كيف كان والدها يخبرها بأن العربات العمومية تُحمّل من أصحابها غالباً، فوق طاقتها واحتمالها.

وهذا يعني أن حياة الجياد التي تجرها لا تستمر عادة، لأكثر من ثلاث سنوات.

ولم تشأ التفكير في ذلك إذ كانت تعرف كم كانت تسعد بامتطاء صهوة جياد زوج أمها الرائعة.

عندما عاد جميع الركاب إلى العربة، جلس بازيل بانكس في الزاوية وأغمض عينيه.

فكرت دونيلا أنه من الحكمة القيام بنفس الشيء مثله.

كانت قد أمضت الليلة الماضية أرقة تتقلب في فراشها فإذا كان عليها أن تقدم عرضاً هذه الليلة أمام الماركيز وأصدقائه، فهي ستكون بحاجة إلى كل نشاطها وحيويتها.

وعلى كل حال، فقد كان من الصعب عليها أن تنام. فبينما غفت كيتي وديزي، أخذت دونيلا تفكر في هذه المغامرة غير العادية.

هل أمكنها أن تتصور، وهي تخطط للهرب في العربة العمومية بأنها ستجد نفسها بين أفراد فرقة تقدم العروض المتنوعة والتي كانت قد جاءت من لندن.



والأكثر من ذلك أنهم أقنعوها بالانضمام إليهم لقضاء الليلة معهم.

وحدثت نفسها بأنها واثقة من أن والدها لو كان موجوداً لرأى الأمر مسلياً للغاية.

لكن ضميرها كان يؤنبها، فقد كانت تشعر بأن هذا عمل لا يناسبها بصفتها سيدة محترمة.

ولكنها أخذت تناقش نفسها قائلة: «ولكن ما هي الفائدة من أن أكون سيدة محترمة إذا كان هذا يعني إرغامي على الزواج من رجل أكرهه.»

ولم تملك الجواب على هذا، فجلست تستمتع إلى دوران العجلات مع صوت حوافر الجياد.

وصلوا أخيراً إلى قرية ليتل فوردينغ متأخرين بعض الشيء.

وعندما دخلت العربة إلى ساحة القرية، أدركت دونيلا السبب في وصف كيتي لها بالجمال.

فقد كانت جميع أكواخها بيضاء اللون مغطاة بالقش، بينما حواجب الأبواب والنوافذ زرقاء لامعة، والحدائق تبهر الأنظار بألوان أزهارها المتنوعة.

وعندما تقدمت بهم العربة أكثر، أصبحت الأكواخ بجانب واحد من الطريق، بينما تعالى في الجانب الآخر جدار من القرميد.

تكهنت دونيلا بأنه السور المحيط بأملاك الماركيز. وبعد مسافة قصيرة، أدركت أنها لم تكن مخطئة وذلك عندما وصلوا إلى بوابتين رائعتين من الحديد نقش بالذهب.

وكان هناك كوخان للبواب، واحد في كل جانب، كان

حاجب كل باب ونافذة، مدهون بنفس اللون الأزرق اللامع كما الأكواخ السابق ذكرها.

وقفت العربة أمام البوابتين، وضعت كيتي وديزي قبعتيهما على رأسيهما، ثم قالت كيتي بابتهاج: «ها قد وصلنا. أرجو أن تكون هناك عربة في انتظارنا.»

فقالت ديزي باكتئاب: «إنني من التعب بحيث لن أستطيع السير على الاقدام.»

قال بازيل بانكس: «لا تقلقي، بما ان السيد قال إنه ستكون هناك عربة، اذاً فستكون هناك واحدة.»

تقدم الحارس ليفتح الباب، وما أن خرجوا من العربة، حتى رأت دونيلا عربة انيقة المظهر داخل البوابات مباشرة.

وأسرع إليهم أحد الخدم وهو يرتدي بزة رسمية.

فقال بازيل بانكس: «إنني السيد بانكس، وأظن أن الماركيز أرسلك لملاقاتنا.»

فرفع الخادم يده يلمس قبعته محيياً: «هذا صحيح، يا سيدي. أظن انه لديكم بعض الأمتعة؟»

أجاب السيد بانكس: «بل لدينا الكثير منها.»

كان مساعد سائق العربة العمومية قد أنزل في هذه الأثناء عدة صناديق كبيرة من مؤخرة العربة.

وكان واضحاً أن ليس بإمكان الخادم حملها بمفرده، فتحدث إلى واحد من القرويين الذين تجمعوا للتفرج على العربة وركابها.

عندما خرجت ديزي وكيتي، خرجت بعض النسوة من الأكواخ واتكأن على البوابات الحديدية للتفرج ايضاً،



اتجهت كيتي وديزي نحو العربة وقد رفعتا ثوبيهما كيلا تطآ الأرض المغبرة.

اسرع الخادم يفتح لهما باب العربة، وعندما لحقت بهما دونيلا، خيّل إليها أن كل ما يحصل ليس إلا مسرحية تعرض على خشبة المسرح.

فكل هذا، لا يبدو لها حقيقياً من البوابات الضخمة إلى الجدار القرميدي العالي وإلى العربة التي يجرها حصانان رائعان.

ووقفت كيتي وديزي تنتظران أن يلحق بهما بازيل بانكس وقد بدتا متألقتين بالوان ثوبيهما.

كانت الآن، الأمتعة بأكملها قد تمّ نقلها من العربة العمومية وإلى عربة القصر.

في تلك الاثناء كان مساعد السائق يتسلق العربة ليجلس بجانب السائق ثم يرفع نفيره لينفخ فيه.

ابتعدت العربة بينما أخذ الرجال الذين كانوا يجلسون على السطح، يلوّحون بأيديهم لكيتي وديزي وهم يهتفون: «يا لكما من جميلتين... لا تنسيانا.»

فصرخت كيتي تجيبهم: «لن أنساكم.»

تصاعد الهتاف والتحيات أكثر فأكثر، وأخذ البعض منهم يلوّح بالقبعات إلى أن ابتعدت بهم العربة.

أما كيتي التي كانت قد وقفت في العربة لتتمكن من وداعهم الأخير، عادت إلى مقعدها وهي تقول: «يا لهم من شبان مرحين. أرجو أن يكون الذين سيتفرجون علينا هذه الليلة، بنصف حماسهم على الأقل.»

فقالت ديزي: «وأسخياء في العطاء. لا أظن سيادته قد يبخل علينا إذا كان الأمر يتعلق براحته وتسليته.»

كان بازيل بانكس يسرع في هذه الأثناء نحو العربة، ثم يقول وهو يدخلها: «ستتبعنا الأمتعة في عربة أخرى. والخادم يقول إنه لن يتأخر بها، وستكون في متناول ايدينا بعد أن نتناول الشاي.»

فقالت كيتي: «وهذا ما أنا بشوق إليه. اشعر بحلقي جاف تماماً.»

ثم قالت ديزي انها أيضاً بشوق إلى شيء لتشربه، ولكن دونيلا، على كل حال، لم تكن تستمع اليهما، فقد كانوا في هذه الأثناء يدخلون من البوابات، وتريد أن تعلم أي نوع من المنازل يملكه ماركيز هانتنفورد، وعما إذا كان باتساع منزل زوج أمها. وإذا كان الماركيز من أسرة عريقة، فالمنزل من المؤكد سيكون قديم البناء.

كان الطريق إلى المنزل طويلاً تحف به أشجار السنديان.

وعند منعطف الطريق، رأت منزل الماركيز لأول مرة، فترك في نفسها تأثيراً بالغاً.

كان قائماً على مرتفع وخلفه غابة من أشجار التنوب، فأدركت أنه من العهد الجورجيني، ولا بد أنه كان قد بني في سنة ١٧٥٠ تقريباً.

وكانت أمها قد علمتها الكثير عن هندسة المنازل، ورأت أثناء اقترابهم من المنزل، أنه ليس فقط مؤثراً في النفس، ولكنه رائع الجمال كذلك.

كان هناك مرج فسيح ينحدر إلى بحيرة بيضاوية الشكل قام فوقها جسر أثري من الحجر.

أما الحدائق التي كانت تحيط بالمنزل، فقد كانت متألقة بالأزهار المتنوعة وبالأشجار المثمرة.



كانت هناك أشجار اللوز وأشجار الماغنوليا التي كانت قد ابتدأت تزهر، وكانت الشمس تعكس اشعتها على زجاج النوافذ ما جعلها تبدو متلألئة كالجواهر.

كان كل شيء من الجمال بحيث شعرت دونيلا بقلبها يكاد يثب من البهجة والاثارة.

لقد كانت، أثناء غيابها في الخارج، تتصور انكلترا بهذا الشكل على الدوام. إنها انكلترا التي تحبها وتفتخر بها دوماً.

وعندما اجتازت بهم العربة فوق الجسر، هتفت كيتي باعجاب: «ما أروع كل هذا.»

فقال بازيل بانكس: «لقد سبق وأخبرتك بأنه رجل في غاية الأهمية وقد كان لي الشرف الكبير عندما طلب مني الحضور.»

قالت ديزي: «لقد كانت المسافة طويلة، وكل ما أرجوه أن تكون النتيجة تستحق كل هذا التعب.»

فقال بازيل بانكس: «دعي كل شيء لي. ولا تنسيا أن تجعلا من كل شخص مسروراً بكما. إنكما ستقومان بالعرض امام أسياد محترمين، وليس أمثال أولئك الحثالة من الناس الذين اعتادوا التردد على صالات ايفانز أحياناً، رغم كونه أفضل مكان في المدينة.»

لم تجب كيتي، فقد كانت نظراتها مشدودة بذهول إلى المنزل الذي يقف أمامها بعزة وشموخ.

اقتربت العربة من الباب الأمامي، حيث لمحت دونيلا رئيس الخدم بشعره الأبيض وهو ينتظرهم عند الباب، وفكرت بتهكم، بأن السجادة الحمراء لم تبسط لاستقبالهم.

كان يمكن أن يكون ذلك، لو أنهم كانوا ضيوفاً ذوي أهمية كبيرة، وليس مجرد فرقة للتسلية والترفيه.

قال رئيس الخدم: «مساء الخير، يا سيد بانكس سيشعر السيد بالسرور عندما يعلم بوصولكم. سيأخذك أحد الخدم إلى غرفتك بينما ستأخذ مدبرة المنزل الفتيات إلى غرفهن.»

انتبهت دونيلا إلى أنه لم يقل السيدات. وسار الخادم أمامهم فلحقوا به في الممر، ليتجهوا بعد ذلك نحو سلم جانبي لم يكن بفخامة السلم الرئيسي في الردهة. ثم صعدوا خلف الخادم إلى حيث كانت مدبرة المنزل واقفة في أعلى السلم بثوبها الحريري الأسود وقد تدلت من خصرها حلقة مفاتيح فضية.

حياها السيد بانكس إذ كان يسير خلف الخادم مباشرة، بقوله: «مساء الخير. قيل لي انك ستأخذين فتياتي إلى غرفهن. وبعد ذلك أكون شاكراً لك جداً لو سمحت لي برؤية الغرفة التي سنقدم فيها العرض هذا المساء.»

أجابت مدبرة المنزل بصوت بارد: «كل شيء قد تم إعداده، وحسب إرشادات السيد، لقد جهزنا أربع غرف للنوم، وغرفة للجلوس فيها البيانو.»

نطقت بالكلمة الأخيرة وكأنها تتحدث عن شيء كريه.

فهتف السيد بانكس: «هذا رائع. إن السيد يهتم بكل شيء.» ونظر أثناء كلامه إلى دونيلا، فأدركت أنه يفكر في إمكانية مراجعة أغانيها الآن.

لم تكن غرفهم في وسط المنزل بل في جناح جانبي، اعجبت دونيلا بتأثيثها وشعرت بأنها مريحة للغاية، وكانت



أبوابها جميعاً تنفتح على ممر طويل. واستنتجت أن غرفة السيد بانكس تقع في الناحية الأخرى، وليست بالبعيدة عن غرفهن. أما غرفة الجلوس فكانت أقرب كثيراً.

عندما كانت مدبرة المنزل تدلّ دونيلا على غرفتها، رأت هذه ان السيد بانكس يدخل إلى غرفة الجلوس.

كانت مدبرة المنزل تقول لها بصوت بارد وجاف: «ستساعدك الخادمة في افراغ حاجياتك وما تطلبينه منها. كما ان الشاي سيكون جاهزاً في غرفة الجلوس.»

ولم تنتظر جواباً منها، إذ تركتها وخرجت من الغرفة وكأنها تعتبرها أقل شأناً منها.

لم تستطع دونيلا إلا أن تضحك معتبرة ذلك أمراً مسلياً للغاية.

فقد كان هذا بالضبط ما كانت تتوقعه من سلوك خدم زوج أمها لو حدث مثل هذا الأمر في منزله.

وتقدمت نحو النافذة تنظر منها إلى الحديقة.

كانت هناك نافورة ترش مياهها على ما حولها كما تحت النافذة مباشرة يوجد ساعة شمسية أثرية تحيط بها الورود.

وهتفت في سرها: «ما أجمل كل ذلك، من المؤكد أنه لا يمكن أن يعثر عليّ أحد في مكان كهذا.»

وفكرت في زوج أمها الذي لا بد أنه يبحث عنها الآن، والذي لا يمكن أن يخطر بباله أنها في منزل الماركيز.

خلعت القبعة والسترة المخملية القصيرة.

كانت على وشك الذهاب إلى غرفة الجلوس، عندما دخلت كيتي الغرفة وهي تقول: «لقد تذكر بازيل الآن فقط

أننا لم نضع على وجهك المساحيق قبل أن تدخلي المنزل.»

فنظرت إليها دونيلا بدهشة وهتفت: «تضعين على وجهي المساحيق؟»

قالت كيتي: «حسناً، لا يمكن اعتبارك واحدة منا الا إذا كنت بهذا المنظر.»

وسارت إلى منضدة الزينة حيث وضعت عليها بعض علب المساحيق وهي تقول: «هيا. سأضع شيئاً من اللون الأحمر على وجنتيك وشفتيك، الآن، وفيما بعد سأكمل عينيك.»

لم يكن قد خطر ببال دونيلا أن عليها وضع المساحيق على وجهها قبل العشاء.

ولكنها تدرك الآن أنهم لو كانوا واجهوا الماركيز أو أياً غيره لبدت حقاً مختلفة تماماً عن كيتي وديزي.

وهكذا، جلست أمام المرآة حيث أخذت كيتي تضع على وجهها المساحيق بخفة ومهارة، ثم هتفت ضاحكة: «كم أبدو مختلفة.»

فقالت كيتي: «إنك تبدين جميلة جداً. وتذكري بأنك احدى الأجراس الثلاثة ويجب ألا يلاحظ أحد أي فرق بيننا.»

فقالت دونيلا: «كلا، طبعاً. كنت أفكر كم أنا محظوظة لأنني سأمضي هذه الليلة في مثل هذا المنزل الرائع الجمال، وذلك بدلاً من المبيت في فندق صغير غير مريح.»

فقالت كيتي: «لا أعرف ما الذي كنت ستفعلينه وأنت تهيمين في هذه الأنحاء بمفردك. إنني لا أطرح أسئلة، ولكنني لا أستطيع التظاهر بعدم الفضول اكثر.»

قالت دونيلا بسرعة: «ربما سأخبرك بذلك في يوم آخر. أما الآن فأنا في غاية الشوق إلى فنجان الشاي.»



قالت كيتي: «وكذلك أنا. كما انني اشعر بالجوع ايضاً.»

وسارتا نحو غرفة الجلوس حيث كان بازيل بانكس يعزف الموسيقى على البيانو.

وجدت دونيلا أنه عازف بارع. بينما اتجهت كيتي مباشرة إلى المائدة حيث كان قد وضع ابريق الشاي وما يرافقه عادة من حلويات.

كان هناك شطائر وفطائر ساخنة في وعاء مغطى، وعدة أنواع من الحلوى وكذلك طبق يحتوي على بسكويت بالشوكولاته.

هتفت كيتي: «هذا هو الشاي الحقيقي حقاً. ولنهتف بحياة السيد ثلاثتنا على أمل العودة إلى بيوتنا وجيابنا ملأى بالنقود.»

نظرت دونيلا إليها بدهشة، وقبل أن تسأل عن السبب الذي يجعل من كيتي توقع النقود من الماركيز أو أصدقائه، نهض بازيل بانكس من مقعده أمام البيانو، وهو يقول بحدة: «إنك لا تعرفين من عساه يسمع ما تقولين. إجلسي وتناولي الحلويات بهدوء فلدينا الكثير من العمل عندما تصل الأمتعة.»

وما أن أنهى كلامه، حتى فتح الباب ودخلت ديزي قائلة: «لقد وصلت الأمتعة، وقد أخبرتهم عن الغرف التي عليهم أن يضعوها فيها، وستذهب أمتعة ميلي إلى غرفة دونيلا.»

قال السيد بانكس: «أحسنت التصرف.»

خرج من الغرفة مغلقاً الباب خلفه، بينما جلست الفتيات الثلاث إلى المائدة.

قالت ديزي: «إذا أنا أكلت من كل هذا، فلن أستطيع شد الحزام على خصري.»

فقالت كيتي: «هذا صحيح. ولكن من الأفضل أن تأكلي الآن، إذ ربما لن نجد الكفاية من الطعام أثناء العشاء وقد لا نجد طعاماً مطلقاً.»

وعندما رأت دونيلا تنظر إليها متسائلة، قالت: «إننا نقدم عروضنا أثناء تناول الضيوف الطعام، وعندما ننضم إليهم بعد ذلك، نجد احياناً ما ناكله، هذا إذا حالفنا الحظ.»

سألتها دونيلا: «ننضم إليهم؟»

فقالت ديزي: «طبعاً. إننا سنكون بحاجة إلى شيء من الطعام بعد كل ذلك التعب.»

لم تفهم دونيلا شيئاً، ولكنها قبل أن توجه أي سؤال، دخل بازيل بانكس الغرفة وهو يقول: «ما أريده منكن يا آنسات، هو أن تقسن ثوب ميلي على جسم دونيلا وترين ما إذا كان يلائمها. يبدو لي أنه ملائم، ولكن من الأفضل أن نتأكد من ذلك.»

أجابت كيتي: «أريد أن انتهي من تناول الشاي أولاً. وإذا كانت دونيلا ستشارك بالغناء فقط، فلا خوف من أن يتمزق الثوب عليها.»

فقال بازيل وهو يسكب لنفسه فنجاناً من الشاي: «هذا صحيح. ولكن عليها أن تبدو بمظهر جميل. وكان عليكن أن تتذكرن وضع المساحيق على وجهها قبل دخولنا إلى المنزل.»

قالت كيتي: «لا بأس، لم يلاحظ أحد ذلك، وهي من الجمال بحيث لا تحتاج إلى الكثير من المساحيق.»

قال بازيل بانكس بحدة: «ليس هذا هو الموضوع، عليها أن تبدو كواحدة من الأجراس، وعليك أن تجتهدي في



أن تبدو كذلك. أرجوك أن تتأكدي من وضع الشعر المستعار على رأسك، لقد كادت ان يقع عن رأس ديزي الليلة الماضية.»

قالت ديزي: «لم اكن صاحبة الذنب في ذلك كما انه مال قليلاً وانتهى الأمر بسلام.»

فقال: «لقد جعلك ذلك تبدين كالمهرجين. لا نريد اية اخطاء أخرى هذه الليلة.»

فقالت كيتي: «آه، أقفل فمك. لن يكون هناك أي خطأ، وكل ما في الأمر أنك مأخوذ بذلك الماركيز السامي القدير، بينما هو لا يخرج عن كونه إنساناً بشرياً مثلنا جميعاً.»

وكان في لهجتها ما جعل بازيل بانكس يضحك قائلاً: «هذا صحيح. وعلى كل حال، ما هي سوى ليلة واحدة، فإذا لم نعجبهم، فمن يهتم؟»

قالت كيتي: «هذا ما أفكره فيه. ولكن بإمكانك أن تثق باننا سنعجبهم، كما أن دونيلا ستكتسح الموقف. انتظر فقط وسترى.»

كانت دونيلا تستمع بذهول، لكنها لم تكن تفهم سبب كل هذا.

كانت تريد أن تمر الأمور بنجاح تام، لأن السيد بانكس كان بالغ الشهامة والرقة نحوها.

وهكذا انهين تناول الشاي بسرعة، وعندما ذهب إلى البيانو لحقت به.

عزف عدة قطع موسيقية، ثم ابتدأ يعزف اغنية، صوت في الظلام، وكانت الفتاتان قد تركتا الغرفة، فغنت دونيلا بهدوء ويسر دون أي شعور بالتوتر أو الانفعال.

وما أن أنهت آخر مقطع من الأغنية، حتى رفع بازيل بانكس يديه عن البيانو وهو يهتف: «رائع. هكذا كان اعتقادي بغنائك، إن الذين سيسمعونك سيذهلون حتماً.»

فسألته: «أتعني ذلك حقاً؟»

قال: «إن صوتك سيكون مختلف تماماً عن الذي سيتوقعونه، لا حاجة لك للمزيد من التمارين. يمكنك أن تغني كما غنيت الآن، وعندما يصفقون لك، انحني لهم.»

فقالت: «سأفعل ذلك. أظن من الأفضل أن أصعد الآن لأرتدي ملابسي.»

قال: «إنني ذاهب إلى غرفتي.»

وعندما صعدت إلى غرفتها، فكرت باستغراب لعدم حاجتها للمزيد من التمارين.

ولكنها، على الأقل، لم يعد لها أن تقلق بشأن غنائها.

كان صندوق ميلي كبيراً جداً، وكان الخادم الذي أحضره قد فك الاربطة عنه.

جاءت كيتي من غرفتها لتخرج من الصندوق ثوباً بديعاً كانت ميلي، كما قالت كيتي، قد ظهرت به وهي تغني إحدى أغنياتها.

وسألتها دونيلا: «ما كانت تلك الأغنية؟»

ساد صمت قصير قالت كيتي بعده: «انها ليست بالاغنية المناسبة لك.»

فسألتها دونيلا: «ولما لا؟»

أجابت كيتي: «أنت سيدة محترمة تترفع عن أغانٍ كهذه.»

لم تهتم دونيلا، واعتبرت ما سمعته مزاح مرح.



كانت كيتي في تلك الاثناء، تخرج الشعر المستعار من الصندوق، فنظرت إليها دونيلا باهتمام.

كان قد وضع في علبة خاصة به لتحميه من أي ضرّر أو تشويه.

كان الشعر أشقر اللون، وخيل إلى دونيلا أن بعض خصلاته قد صبغت لتبدو أكثر تألقاً.

وتصورت دونيلا عند ذلك مظهر الفتيات الثلاث في هذا الشعر المستعار، فبدا لها ذلك بالغ التأثير.

قالت كيتي: «يمكنك أن تجربي هذا في ظرف دقيقة واحدة، ورأيي بدل أن تشغلي نفسك بهذا الثوب الذي لا بد أنه يناسبك تماماً، حاولي أن تستريحي.»

سألتها دونيلا: «وهل ستفعلين أنت هذا؟»

أجابت كيتي: «نعم. فأنا لم استطع النوم قبل الرابعة من هذا الصباح. وكان علينا أن ننهض في السابعة.»

سألتها دونيلا: «وما الذي جعلك تتأخرين في النوم؟»

لم تجب كيتي، فقد كانت تبحث في الحقيبة عن الحذاء الذي يتلاءم مع الثوب.

وبعد أن وضعته على الأرض، قالت: «قد لا يناسب هذا الحذاء قدميك، ولكن ربما لديك آخر حذاء في حقيبتك هذه.»

أجابت دونيلا: «نعم، لدي واحد، فلا تقلقي لأجلي واذهبي إلى النوم.»

ومجرد الحديث عن النوم، جعل كيتي تتثاءب، ثم قالت: «وكذلك إفعلي أنت، فأنا واثقة من أننا سنبقى ساهرات حتى الفجر، وبعد ذلك يبقى أمامنا رحلة العودة الفظيعة تلك إلى لندن.»

قالت ذلك ثم خرجت من الغرفة، بينما أخذت دونيلا تخلع ثيابها ثم تعلقها في الخزانة بعناية.

كانت تفكر كم هو مرهق هذا العمل الذي يدفع بصاحبه إلى السهر حتى الفجر.

ولا بد أن ماركيز هانتنفورد سيدفع لبازيل بانكس مبلغاً لا بأس به من المال ما سيجعلهم ينسون كل ما تكبدوه من عناء وتعب من لندن إلى هنا، وذلك في سبيل اداء ليلة واحدة.

وفكرت في أنه سيكون من المثير حقاً أن ترى الماركيز ذاك، ولكنها ما لبثت أن شعرت بالسرور حيث انها لن تغني سوى أغنية واحدة.

وارتدت قميص النوم، ثم انزلقت بين الأغطية. وما لبث التعب أن جعلها تسترسل في نوم عميق.

* * *

استيقظت دونيلا مجفلة عندما دخلت كيتي الغرفة وهي تقول: «هيا، استيقظي. إن بازيل ينق كالدجاجة خوفاً من أن نتأخر. ولكن، كما سبق وأخبرتك مراراً، لدينا متسع من الوقت. ففي مثل هذه الحفلات لا يسرع أحد في شيء.»

جلست دونيلا، وكانت كيتي قد وضعت الشعر المستعار، وزادت من المساحيق على وجهها اكثر من الأول.

وضعت دونيلا، بعد ان استعجلتها كيتي معطف الموسلين على كتفيها ثم جلست أمام منضدة الزينة.

وبأصابع ماهرة، لفت كيتي شعرها ثم رفعته وثبتته



بالدبابيس، ثم وضعت فوقه الشعر المستعار الذي يماثل شعرها المستعار.

وهذا ما جعل دونيلا تبدو غريبة مختلفة تماماً عما هي عليه.

لقد بدت في الواقع، ذات شبه غريب بكيتي.

قالت ضاحكة: «إننا نبدو شقيقتين حقاً.»

وبرز رأس بازيل بانكس من الباب وهو يقول: «لقد تحوّل السيد إلى شخص سخيّ للغاية، فبانتظارنا وجبة طعام ممتازة. ولكن عليكن بالاسراع.»

هتفت كيتي بسرور: «إنني جائعة... وأنت تعلمين أنه من الخطأ العمل والامعاء فارغة.»

أنهت تثبيت شعر دونيلا وهي تقول: «سأضع المساحيق على وجهك بعد الانتهاء من الطعام.»

وذهبتا إلى حيث مائدة الطعام في غرفة الجلوس، ثم انضمت ديزي إليهما.

كان ما قاله بازيل بانكس من أن الماركيز قد تحوّل إلى رجل سخي، أمر صحيح حقاً.

فقد كان الطعام لذيذاً، ومعظمه من المأكولات الباردة، لذلك ملأت كيتي وديزي طبقيهما بالكثير.

لم تكن دونيلا جائعة في الحقيقة، ولكنها فكرت انه من الخطأ عدم تناول أي شيء.

لذا تناولت شريحة من سمك السلمون، ثم بعض السلطة والفاكهة.

قالت لها ديزي: «يجب أن تأكلي كلما سنحت لك الفرصة، خصوصاً إذا كنت ستتابعين رحلتك بمفردك، ما سيجعلك تدفعين ثمن طعامك.»

فقالت كيتي: «لا تخيفيها، وقد تنجح هذه الليلة إلى درجة تغنيها عن العمل لاعالة نفسها.»

وجدتها دونيلا تتكلم بشكل عفوي لكن ما أدهشها، هو رؤية بازيل بانكس ينظر إليها مقطب الجبين.

لا بد وأنه يقصد بذلك مراعاة لمشاعرها هي، وكأنه يطلب من الفتيات، أن لا يحملنها على الخوف من التجوال في المنطقة.

ولم يسمح للفتيات بإطالة الوقت حول المائدة، وذلك عندما اخذ ينظر إلى ساعة يده بين الفنية والأخرى.

وأخيراً قال لكيتي: «لقد أكلت ما يكفي لاشباع فيل. هيا نعود إلى العمل.»

قالت كيتي متذمرة: «يا لك من مستبد ظالم.»

لكنها نهضت عن المائدة وسارت متقدمة دونيلا إلى غرفة هذه الأخيرة.

جلست دونيلا على الكرسي حيث أخذت كيتي تضع لها الكحل فوق أهدابها واحمر الشفاه على شفتيها.

وعندما نظرت دونيلا بعد ذلك إلى نفسها في المرآة، كانت واثقة من أن أمها نفسها لن تعرفها إذا رأتها.

وأخيراً، ارتدت ثوب ميلي؟

وساور دونيلا ذعر مفاجىء وهي ترى فتحة عنق الثوب، بحيث جعلها ذلك تشعر بالحرج.

وهتفت تقول: «لا أستطيع ارتداء هذا الثوب.»

قالت كيتي باصرار: «لا بد لك من ارتدائه، ثم ما أهمية ذلك؟ فأنت ستغنين فقط ولن تتنقلي به هنا وهناك.»

لكن دونيلا بقيت مصرة: «فتحة العنق بالغة في الاتساع.»



كان الثوب جميلاً جداً ويصلح لهذه المناسبة رغم أن التنورة كانت واسعة ومن ذلك النوع المنتفخ الذي كان قد أصبح الآن قديم الطراز.

كان مصنوعاً من التافتا باللون الأزرق الباهت، تزينه باقات صغيرة من الورد.

كان ثمة ورود حول العنق وعند الكتفين. كما وردة على شريط من المخمل التف حول كل من معصميها.

قالت دونيلا وكيتي تسوي لها الثوب من الخلف: «إنه جميل جداً. ولكن... صدقيني أنني أشعر بكثير من الحرج، فأنا لم ارتد يوماً مثل هذا الثوب.»

فقالت كيتي: «إن ميلي لا تهتم لأمور كهذه. ولكنني سأريك ما يمكننا فعله في هذا الشأن. سنأخذ وردة من ظهر الثوب ونشبكها بدبوس في أسفل فتحة العنق. ولكن إياك أن تخبري بازيل. إنه لا يوافق على مثل هذا العمل بتاتاً.»

وفكرت هي بأنه ربما لن يلاحظ أحد ذلك. ثم عليهم أثناء تأديتها لأغنية صوت في الظلام أن يخفضوا من الأنوار قدر المستطاع.

نزلتا إلى الطابق الاسفل، ثم تسللتا إلى مؤخرة غرفة الطعام حيث رأت دونيلا أن من المستحيل تغيير الأنوار كما هو الأمر في المسرح.

لقد أقاموا خشبة مسرح صغيرة تبلغ حوالي القدمين ارتفاعاً في آخر غرفة الطعام.

كان هنالك نوافذ تطل على الحديقة، وفي الناحية الأخرى كان هناك باب يحضرون منه الطعام.

كانت خشبة المسرح مستطيلة إنما ليست واسعة. لكن

وحدة فاضية
منتدى ليلاس



كان ثمة فسحة من كل ناحية يمكنهم الانتظار فيها والرؤية دون أن يراهم أحد. كما كان من كل ناحية أيضاً، اوعية لنباتات مختلفة.

لكن لم يكن في المقدمة ما يمنع مؤدي العرض من النزول إلى حيث المدعوين والاختلاط بهم.

وكان ثمة ستائر في الخلف وعلى الجانبين ايضاً، أما على خشبة المسرح فقد كان الشيء الوحيد الموجود هو البيانو.

فجأة بدا وكأن الضوضاء في غرفة الطعام ما عادت تحتمل. كان هناك الأحاديث المتبادلة والضحكات العالية.

خيّل إلى دونيلا أن عدد المدعوين، هو أكثر مما كانت تتوقع.

كما كان بازيل بانكس قد قال، فقد دعا الماركيز جميع الذين يشاركون عادة في السباقات التي يجريها.

كانت قد ظنت انهم لن يزيدوا على العشرين مدعواً. لكنها تأكدت، من هذه الضجة، أنهم أكثر من ذلك بكثير.

ثم خيّل إليها أنها تسمع أصوات نساء، فأزاحت أوراق النباتات عند طرف خشبة المسرح تسترق النظر إلى غرفة الطعام.

عند ذلك رأت حوالي الأربعين شخصاً يجلسون حول مائدة طعام البالغة الاتساع.

أدركت فجأة، أن ليس لامثالها، أن تتواجد في مثل هذا النوع من الحفلات.

كانت أمها قد أوضحت لها مرة، عندما تحدثتا عن صالات الموسيقى، بأن النساء المحترمات لا يذهبن إلى مثل تلك الأماكن...



حتى ان أمها نفسها، لم تفكر مرة في القيام بزيارة أية واحدة منها. وحدثت دونيلا نفسها بأنها ما كان لها أن تأتي الى هنا، ولكنها فكرت في أنه لا يهم من قد يكونوا هؤلاء الضيوف، فكيتي وديزي، وهي ايضاً، لسن سوى مقدمات عروض على المسرح.

وما يحدث في غرفة الطعام لا شأن لهن به. كان بازيل بانكس، هذه الأثناء، يعطي الفتاتين تعليماته بالنسبة للمسرح.

لكن الفتيات ما كن يصغين إليه، فقد كن يعلمن بالضبط ما عليهن القيام به، ولا حاجة له في ابلاغهن عن أي شيء.

كانتا ترتديان تنورتين طويلتين ورديتي اللون بكشاكش مبهرجة متألقة الألوان.

فكرت أنه سيكون من المؤسف تماماً إذا لم يقدّرهما المدعوون.

وكان بازيل بانكس يقول: «والآن، عليكن أنتن الثلاث، أن تخرجن إلى المسرح وتنحنين، ولتقف دونيلا في الوسط. عندما تخرج هي من المسرح، تؤديان أنتما عرضكما.» سكت لحظة ثم تابع يقول: عندما تنتهيان، سأغني أنا وبعد ذلك تؤدي دونيلا أغنيتها. وبعد ذلك تعودان أنتما من جديد.»

كانت دونيلا تستمع باهتمام، لكن بالنسبة للفتاتين، كان ذلك مجرد روتين.

قال: «عندما تنتهي الفتاتان، يا دونيلا، ويبدأ التصفيق، تخرجين أنت وتنحنين كما قلت لك فعله في البداية.»

في هذه اللحظة فتح الخادم الباب خلفهما وقال:

«يطلب سيادته منكم البدء في العرض، يا سيد بانكس.»

فقال السيد بانكس: «حسن جداً.»

كان يبدو لدونيلا انيق للغاية وقد وضع في ربطة عنقه دبوساً ماسياً.

ثم سار نحو خشبة المسرح متبختراً وعلى رأسه قبعته الطويلة المائلة إلى جانب رأسه.

عندما ظهر امام الحضور، ساد الصمت لحظة. بعدها قال شيئاً لم تفهمه دونيلا، فاهتزّ المكان بالتصفيق والضحك.

جلس أمام البيانو وأخذ يعزف عدة مقطوعات ليروي لهم بعدها قصة قوبلت أيضاً بالضحك والتصفيق ما خيل معه لدونيلا وكأن الثريات تهتز فوق رؤوس المدعوين حول المائدة.

لم تكن دونيلا تستمع إلى ما كان يقوله بازيل، ذلك لأنها عادت إلى استراق النظر من بين أوراق النباتات.

فقد تمكنت الآن من أن ترى الماركيز بوضوح، فقد كان يجلس إلى رأس المائدة على كرسي عالي الظهر، خيل إليها أنه كان محفوراً عليها شعار الأسرة.

لم يكن مطلقاً كما كانت توقعت. لقد تصورته، من بعد ما سمعت عنه، أنه بارد يخلو من الجاذبية.

لكنه بدا لها، رغم بعد المسافة، وسيماً للغاية. كانت ملامح وجهه واضحة، ذا شعر أسود سرّح إلى الخلف فبرز جبينه العريض.

لم يكن يقهقه عالياً مثل ضيوفه.

لكنه كان يبتسم وكأن ما يحدث كان يرضي كبرياءه وغروره. فكرت دونيلا بأنها على ثقة تامة من نجاح هذه الأمسية.



انفجرت مرة أخرى عاصفة من الضحك لما كان السيد بانكس قد قاله اخيراً.

انطلق الآن يغني أغنية لم تسمعها دونيلا من قبل، لكنها لاحظت أن بعضها مزدوج المعاني بحيث لم تستطع فهمها كما يجب.

لكنها كانت تسرّ الضيوف بكل تأكيد.

وعندما انتهت الأغنية، همست كيتي: «تعالي. لقد حان دورنا.»

أمسكت بيد دونيلا، بينما أمسكت ديزي باليد الأخرى. ثم، عندما علا التصفيق من الحاضرين، نهض بازيل بانكس من أمام البيانو لينحني لهم.

لوح بذراعيه يدعوهم إلى السكوت، وعندما هدأوا قليلاً، قال: «والآن، سيداتي سادتي، سترون جواهري المتألقة التي تنتظرون رؤيتها، اقدم لكم أجراسي الثلاثة.»

جلس مرة أخرى إلى البيانو ثم انطلق يعزف معزوفة شاعرية إنما مفعمة بالحيوية من أنغام الفالس.

وساد السكون عندما وقفت كيتي تنتظر، بينما كل الأنظار كانت منصبة على المسرح.

ثم تقدمت إلى الأمام، ولحقت بها ديزي ودونيلا. وعندما وصلتا إلى منتصف المسرح، انحنت الثلاثة معاً.

انحنين بعدها مرتين ثم، ما أن ابتعدت دونيلا، حتى تغيرت الموسيقى إلى أخرى راقصة مليئة بالحيوية. اخذت كيتي وديزي ترقصان رقصة فولكلورية شهيرة.

علت أصوات المدعوين أمثال أولئك الذين يستضيفهم عادة زوج أمها.

الفرق الوحيد، هو أن هؤلاء كانوا أصغر سناً بكثير. ثم، وكأن هناك جاذباً لا يقاوم، تحولت عيناها إلى الماركيز مرة أخرى.

وبينما كان الجميع ينظرون إلى خشبة المسرح، خيّل إليها أن السأم يبدو عليه بشكل واضح.

أدهشها أن لا ترى امرأة تجلس إلى جانبه مثل معظم الضيوف.

وبدلاً من ذلك كان يجلس إلى جانبيه رجلان. ثم أخذ يتحدث إلى واحد منهما لم يكن هو الآخر مهتماً كثيراً بما كان يجري على خشبة المسرح.

كانت دونيلا على ثقة بأنهما لا بد يتحدثان في شؤون الخيل.

وحده فاضيه
منتدى البلاس



# الفصل الرابع

ما أن أنهت الفتاتين رقصتهما، حتى اهتز المكان بالتصفيق الحاد.

خرجتا من المسرح بسرعة، وقالت كيتي لدونيلا هامسة: «إنك ستخرجين الى المسرح بعد انتهاء بازيل، فلا تخافي.»

توجهت دونيلا إلى المدخل، ولكن كل ما استطاعت رؤيته من هناك، كان المسرح نفسه واوعية النباتات الملونة.

وكان بازيل بانكس يروي قصة أثارت عاصفة من الضحك.

ثم أخذ يغني أغنية يبدو أنهم كانوا يعرفونها جميعاً. فقد اشترك البعض معه في الغناء.

عندما انتهى، قال: «والآن، سيداتي سادتي، إحدى أجراسي الجميلات ستغني لكم، أنا واثق من أنكم ستجدونها ذات صوت لا يقاوم.»

ثم أخذ يضرب بأصابعه على البيانو بصوت شبيه بقرع الطبول.

وما أن مشت دونيلا على المسرح، حتى أخذ يعزف موسيقى أغنيتها.

ساورها الخوف لحظة، ولكنها ما لبثت أن حدثت نفسها بأن ليس هناك من يعرفها في هذا المكان، كما أنها لن تراهم مرة أخرى.

المهم الآن هو أن لا تخذل أولئك الذين مدوا لها يد الصداقة والعون.

لذا أرغمت نفسها على ألا تفكر في غرفة الطعام المزدحمة، وتصوّرت نفسها تغني الآن فقط لزميلاتها اللواتي في مدرسة فلورنسا.

كان بازيل بانكس يعزف اللحن، وعندما نظر إليها أدركت أن عليها البدء في الغناء.

لم تكن دونيلا تعلم أن صوتها كان مختلفاً تماماً عما كان يتوقع الحضور من فتاة اعتادت الغناء في صالات ايفانز. فقد كان بالغ الصفاء والصدق. كما أن نبراته كانت فتية ما جعل المدعوين يستمعون بصمت. وعندما أنه الغناء، لم يكن في الغرفة صوت مسموع.

انحنت محيية، فارتفع التصفيق أقوى مما قوبل به أيّ ممن سبقها في الاداء. فانحنت مرة أخرى، ولكنها عندما كانت على وشك مغادرة المسرح، تصاعد الصياح: (مرة أخرى... مرة أخرى!)

فقال لها بازيل بانكس بصوت لا يسمعه سواها: «أعيدي الغناء.»

كانت دونيلا ترى الأغنية على شيء من التفاهة لذا فقد غنت السطور الأولى منها فقط.

ثم أخذت ترقص رقصة شعبية كانت قد تعلمتها في فلورنسا، وكانت هذه الرقصة عادة يقوم بها اثنان، لكنها أخذت تدور وحدها، وعندما انتهت الهتافات عادت تنحني لهم.



عندما تركت المسرح، قال لها بازيل بانكس: «هذا جيد... جيد جداً، وأنا فخور بك للغاية.»

ابتسمت له، وقبل أن ينتهي التصفيق، أخذ يروي لهم إحدى قصصه التي بعثت عاصفة من الضحك كالمعتاد، وفي جانب المسرح، تنهدت دونيلا بارتياح. لقد انتهى الأمر بسلام.

ثم نظرت إلى الفتاتين اللتين كانتا قد بدلتا ملابسهما للعرض الثاني.

كل ما كانت تعلمه هو أن المظهر الذي تبدو به الفتاتان الآن عكس ما كانت تراه على زميلاتها ايام المدرسة.

رأتها كيتي كيف كانت تنظر إليهما بذعر، فقالت: «لا أظنك رأيت مثل هذه الملابس من قبل؟»

فسألتها دونيلا: «وهل هذا... ما... ترتدينه؟»

قالت كيتي تشرح لها هامسة: «هذه الملابس تأتي من أميركا، وكل لندن تتحدث عنها.»

عندما ظهرتا على خشبة المسرح بعد ذلك بدقيقتين، تعالى الصفير والصراخ والضحك، كما التصفيق.

لم يكن لديها رغبة في أن ترى ما كانتا تقومان به، لذا، عادت إلى المكان الذي كانت تسترق النظر منه.

لم يعد ثمة شك الآن بأن الجميع قد أصبحوا مشدودين إلى ما كان يحدث على خشبة المسرح.

تحوّلت عينا دونيلا إلى الماركيز بدافع لا يقاوم. لقد خيّل إليها أنه ينظر إلى خشبة المسرح وقد لوى بشفتيه اشمئزازاً.

لكن في الوقت نفسه، كان بعيداً جداً بحيث يمكنها التأكد من صحة ذلك.

مهما يكن نوع الألعاب البهلوانية التي كانت تقوم بها كيتي وديزي، فقد كانتا ناجحتين دون شك. وعندما خرجتا، دخل بازيل بانكس وأخذ يعزف الموسيقى الشعبية على قيثارة صغيرة لم تلاحظ دونيلا أنها كانت ملقاة على البيانو قبل الآن.

أعجبها عزفه الجميل هذا، والأكثر من ذلك، أنه اثناء عزفه، أخذ يرقص بايقاع جميل فوق خشبة المسرح.

لم تنتبه إلا بعد أن انتهى من العزف، إلى أن كيتي وديزي قد بدّلتا ملابسهما مرة أخرى.

الرقصة التي ادّتها كيتي وويزي، تؤدي في لندن في عدد من صالات العشاء.

لم يكن ثمة شك، في أن هذا الاستعراض قد حظي بنجاح تام.

ثم، بينما كانت الفتاتان تندفعان بالخروج من المسرح، أخذ بازيل بانكس يغني أغنيته الأخيرة بينما كانت الفتاتان تبدلان ثيابهما.

قالت كيتي لدونيلا: «ساعدينا، يا عزيزتي.»

سارعت دونيلا لتلبية رغبتهما، يدفعها إلى ذلك سرورها لارتدائهما ثيابهما العادية قبل أن تنضما إلى المدعوين.

دهشت لسرعتهما في ارتداء ملابسهما وعودتهما إلى المظهر الذي كانتا عليه فيه في بداية العرض. بعد ذلك وبأقل من دقيقتين فقط، ظهرت الفتيات الثلاث، دونيلا في الوسط، على خشبة المسرح ينحنين للمتفرجين.



وما أن انتهى التصفيق، حتى كانت كيتي تنزل من على خشبة المسرح إلى أرض قاعة الطعام، حيث توجهت مباشرة إلى رأس المائدة وهي تجذب دونيلا معها.

ما أن وصلن، هن الثلاث، إلى حيث كان الماركيز يجلس، حتى وقف هذا ليصافحهن وهو يقول بصوت عميق: «شكراً لهذا الإداء الممتاز والذي لا شك أنه اعجب ضيوفي.»

فقالت كيتي: «نرجو أن يكون أعجبك أنت.»

أجاب: «وهل من المعقول ألا يكون هذا؟»

كان الخادم يضع في هذه الأثناء مزيداً من الكراسي حول المائدة، فوجدت دونيلا نفسها تجلس إلى جانب الماركيز بينما جلست كيتي إلى جانب الرجل الجالس إلى يمينه، وديزي إلى جانب الرجل الذي إلى يساره.

قال الماركيز يخاطب دونيلا: «إنك جديدة، لم أرك من قبل.»

دهشت دونيلا وسألته: «وكيف علمت بذلك؟»

أجاب: «إنني لست أعمى، أين الفتاة التي كانت تعمل معه في ايفانز الأسبوع الماضي؟»

أجابت دونيلا: «إنها مريضة، ولهذا جئت أنا مكانها في آخر لحظة.»

«إنني لم أرك في ايفانز من قبل.»

لم تجب، وبعد لحظة عاد يسألها: «لماذا؟»

ابتسمت دونيلا: «إنني لم أذهب قط إلى صالات ايفانز.»

فقال الماركيز: «هذا يفسر الأمر، إنها مهارة بالغة من بازيل بانكس إذ يجد فتاة بهذا الجمال لتأخذ مكان ميلي.»

وأدار كرسيه ليتمكن من الحديث معها، وشعرت بالارتباك والقلق.

لكنها ما لبثت أن حدثت نفسها بأنه لن يستطيع التصوّر ولو للحظة واحدة بأنها غير الشخصية التي تدعيها.

ولكن من الخطأ أن تدعه يلقي المزيد من الأسئلة، فقالت له: «هل لك أن تخبرني عما إذا فزت في السباق هذا النهار؟»

أجاب: «في الواقع، نعم. كيف علمت بذلك؟»

«لقد قال السيد بانكس أن الحفلة هي لأجل اولئك المشتركين في السباق، لا بد أنه كان هناك الكثير من الجياد الممتازة، هذا إذا كان السباق صعباً.»

اجاب: «كان صعباً جداً، وبهذا يكون الحق معك، هل تهتمين بالخيل.»

قالت: «إنني أحب الفروسية كثيراً، إذا كان هذا ما تسأل عنه.»

قال: «إذن، هناك قاسم مشترك بيننا.»

قالت: «إنني واثقة من أن جيادك رائعة.»

«أظنك تعنين بقولك هذا، أنك ترغبين برؤيتها.»

قالت: «لشدّ ما يسرني هذا، لكن بما أن السيد بانكس سيغادر المنزل باكراً صباح الغد، لا أظن الوقت سيسمح لي بذلك.»

تساءلت وهي تتكلم عما إذا كان الماركيز سيدعوها للتفرج على جياده لو هي أخبرته بأنها قد تبقى في القرية.

لكنها عادت ففكرت في أن هذا سيكون عملاً لا معنى له إذا كان من المفروض أن تقوم بعمل اداء العروض في الأمسيات.



وهكذا بقيت صامتة. لكنها كانت تشعر بأن الماركيز كان ما يزال ينظر إليها متفحصاً بطريقة لم تفهمها.

ثم قال: «يجب أن تخبريني عن اسمك ما دمت لست ميلي.»

«دونيلا.»

«هذا اسم غير عادي لم أسمع به من قبل، كما أنه ليس موجوداً في هذه القرية.»

فقالت: «إنه لاتيني الأصل، وهو الاسم المؤنث لاسم دونالد.»

لم تنتبه إلى الدهشة التي بدت على وجه الماركيز، وكأنما كان ما يزال يفكر في الحديث الذي سبق ودار بينهما، قال: «هل تمارسين الفروسية في لندن؟»

أجابت دون تفكير: «لم أذهب إلى لندن منذ وقت طويل، ولكنني طبعاً أقوم بذلك في الريف.»

رفع الماركيز حاجبيه، ثم قال: «أظن الرجل الذي يتيح لك هذه الفرصة يملك الجياد الأصيلة.»

فقالت وهي تفكر في اصطبلات زوج أمها: «طبعاً، إن جياده ممتازة.»

وإذ لم يقل شيئاً، سألته: «هل تقيمون غالباً سباق النقاط؟»

أجاب: «نعم، وإذا كان الأمر يهمك، سأشترك يوم الخميس القادم في سباق السادة للهواة في إبسوم، وآمل أن أكون الفائز.»

فقالت: «لقد سمعت بذلك السباق، وهو عادة يشترك فيه اصحاب الجياد نفسها ليظهروا لمن يستأجرونهم للركوب في السباقات الأخرى، كيف يتوقع منهم التصرف.»

فالقى الماركيز برأسه إلى الخلف وانفجر ضاحكاً ثم قال: «لم أفكر بهذا من قبل قط، ولكن معك حق بالطبع، سيكون سباقاً في منتهى الصعوبة ولهذا أريد أن أفوز به.»

«أخبرني عن الجواد الذي ستمتطيه.»

«إنه أحب الجياد على قلبي، واسمه راجا.» ابتسم ثم أضاف قائلاً: «هل تعتقدين بأنني سأفوز؟»

قالت:

«سأدعو لك بالنجاح طبعاً.»

فقال الماركيز: «اعتقد انك عدا عن كونك مغنية وفارسة، تهوين القراءة أيضاً.»

أجابت: «طبعاً وأظن لديك في مثل هذا البيت الرائع، مكتبة كبيرة كذلك.»

فقال: «نعم، في الواقع، ولعله يعجبك أن تعلمي بأنني أضيف إليها المزيد كل أسبوع.»

قالت: «هذا أفضل شيء تقوم به، فانا دوماً أشعر بالحزن إذ أرى المكتبات الكبرى لا يتواجد فيها كتاباً عصرياً واحداً.»

كانت أمها قد أخبرتها بذلك، كما أنهما قرأتا عدة مقالات بهذا الشأن وذلك في صحيفة التايمز.

قالت المقالات انه في البيوت التاريخية القديمة، توقف مالكيها عن تجديد مكتباتهم بالكتب العصرية منذ بداية هذا القرن.

كان الماركيز على وشك أن يجيبها، عندما علت بعض الضجة من بعض المدعويين حول المائدة.



وقف أحد الضيوف، ثم ما لبث أن انهار على الأرض، فأسرع الخدم يحملونه ويخرجون به من الغرفة.

سألته دونيلا: «هل هو مريض؟ هل ستحضر له الطبيب؟»

أجاب الماركيز باختصار: «لا شيء سوى إسراف في تناول الطعام.»

فنظرت إليه دونيلا ذاهلة، ثم قالت: «لم أفكر في هذا مطلقاً، من المؤكد أن السادة لا يفرطون في تناول الطعام في مثل هذه الحفلات بهذا الشكل.»

أجاب الماركيز: «ولكن هذا يحدث دوماً في حفلات كهذه.»

فحولت دونيلا نظراتها نحو المائدة بعد أن كانتا مسمّرتين على وجه الماركيز وهي تتحدث إليه. ذلك أن أمها كانت قد أخبرتها أنه من غير اللائق التحدث إلى أي شخص دون النظر إليه بتركيز واهتمام.

كان الماركيز يراقب التعبير الذي بدا في عينيها، لهذا المنظر فقال بعد لحظة: «أظن من الحكمة أن ننتقل إلى قاعة الاستقبال فالمكان هناك أكثر هدوءاً من هنا.»

أجابت دونيلا: «انها... فكرة... جيدة.»

أشار الماركيز إلى رئيس الخدم الذي كان يقف خلف كرسيه، ثم وجه اليه بعض التعليمات لم تسمعها دونيلا، إذ كانت ما زالت تنظر إلى الضيوف حول المائدة.

فكرت كم تختلف هذه الحفلة عن غيرها من الحفلات خاصة تلك التي كان يقيمها زوج أمها في قصره.

وقف الماركيز وهو يقول لدونيلا: «هيا بنا، فإذا خرجنا

سيتبعنا الآخرون، لقد أرسلت إلى بانكس كي يعزف في قاعة الاستقبال.»

كان هذا يعزف طوال الوقت الذي كانا يتحدثان فيه، فشعرت دونيلا بالأسى لأن أي من الحاضرين لم يكن ينتبه لعزفه ذاك.

فقالت: «أظنه يعزف بشكل رائع.»

قال الماركيز: «هذا هو رأيي أيضاً، وأحب أن أسمعك تغنين مرة أخرى، لكن ليس هذه الليلة.»

فأدركت دونيلا أنه يفكر بأن يسمع غناءها مرة أخرى في صالات ايفانز.

إذا كان هذا ينوي القيام به، فيا لخيبة أمله. وتساءلت عما إذا كان سيبحث عند ذاك عنها، كما يبحث زوج أمها عنها الآن.

بدا لها انه من المضحك كثيراً إذ تدخل حياة الناس وتخرج منها بهذه السهولة. سارت مع الماركيز نحو قاعة الاستقبال، وكانت كيتي والرجل الذي كانت تتحدث إليه وراءهما مباشرة.

لحق بهم بقية الضيوف، واحداً بعد الآخر، ثم فتح رئيس الخدم الباب، فدخل الجميع إلى قاعة لم تر دونيلا مثلها من قبل.

غرفة هي من أجمل الغرف التي رأتها في حياتها، كان يتدلى من السقف ثلاث ثريات ضخمة وقد اضيئت شموعها، وكان الأثاث فرنسي الطراز، فاعتقدت ان اللوحات، هي ايضاً كذلك.

وكان ثمة بيانو موضوعاً في الركن الأخير من الغرفة،



وبعد ذلك بثوانٍ سمعت بانكس قد ابتدأ يعزف قطعة موسيقية من الحان اوفنباخ، مما أكد لها انه يعزف المقطوعات الكلاسيكية بجدارة أكثر مما كانت تتوقع. لقد ادركت الآن مبلغ نبوغه في العزف، وتساءلت عن الذي يمنعه من أن يكون موسيقياً محترفاً بدلاً من أن يعمل في المطاعم.

قال لها الماركيز: «إنك تتصنعين الجد كثيراً، وهذا ما لا أسمح به.»

فسألته: «لِمَ لا؟»

أجاب: «لأنه من المفروض أن تكون هذه ليلة مرحة.» وكان في طريقة كلامه نبرة ساخرة.

كانت واثقة من أنه يحتقر تصرفات بعض ضيوفه. وبدت السخرية بوضوح على شفتيه. تذكرت أنها سبق ورأتها حين كانت تسترق النظر اليه من خلال نباتات المسرح.

جلست على الأريكة، وعندما ابتدأ الضيوف بالدخول إلى قاعة الجلوس، أشار لهم بالجلوس.

نظرت حولها تبحث عن الماركيز، فرأته في آخر الغرفة يعطي ارشاداته لرئيس الخدم.

عندها وقفت وسارت نحو الباب حيث انسلت خارجة منه. وجدت نفسها في غرفة انتظار صغيرة جميلة الأثاث وقد أنيرت هي أيضاً بالثريا.

لم يكن هناك أحد. ورأت باباً آخر كانت واثقة من أنه ينفذ إلى الممر. ولم تكن مخطئة.

كان ما يزال هناك بعض الضيوف فيه يقصدون غرفة

الاستقبال، لم يلحظها احد منهم وهي تتسلل مبتعدة نحو الجهة المقابلة، ثم تصعد السلم الذي سبق واستعلمته حين وصولها، وعندما استدارت نحو غرفتها، شعرت بالارتياح ظناً منها أنها قد نجت بنفسها.

كانت على وشك الوصول إلى غرفتها عندما أسرعت إليها خادمة وهي تسألها: «هل أنت الآنسة دونيلا؟»

أجابت: «نعم، أنا هي.»

قالت الخادمة: «لقد تغيرت غرفة نومك، وقد أخرجت كل أمتعتك إلى الغرفة الأخرى.»

فسألتها: «تغيّرت؟ ولماذا؟»

«إنها أوامر السيد، وهو يرى أن الأخرى مريحة أكثر من هذه.»

دهشت دونيلا، ذلك أن الغرفة التي نزلت فيها، كانت مريحة للغاية، ولم يكن فيها شيء غير عادي.

كما كانت أفضل من أي غرفة كانت ستبيت فيها في فندق القرية.

كانت الخادمة تقول: «تعالي معي سأرشدك الى غرفتك الجديدة.»

ثم مشت أمامها، وشعرت دونيلا بأن هذه الخادمة تستنكر وجودها كما سبق أن فعلت مديرة المنزل حين وصولهم، وحدثت نفسها باسمة: «هذه هي نتيجة كل امرأة تصبح فنانة.»

كم ستضحك مع أمها لهذا الأمر، لكنها عادت فتذكرت أنه سيتملكها الذعر إذا هي علمت بما يجري لها حالياً.



أخيراً فكرت، أن ما يجري هنا هو شيء لا ينبغي لها أن تخبر به أحداً بعد أن تعود إلى بيتها.

كانت الخادمة تهرول أمامها بسرعة لا ضرورة لها، ووصلتا الآن إلى القسم الاساسي من المنزل حيث صعدتا السلم الرئيسي الرائع الجمال.

إلى الناحية الثانية من الممر، صنعت الخزائن الفرنسية الطراز.

كانت دونيلا تنظر إلى واحدة منها عندما وقفت الخادمة وفتحت باباً هناك، ثم قالت بصوت بارد: «هذه هي الغرفة، لقد أحضرت لك حاجياتك ولكن من دون الصندوق. كانت تتكلم وكأن الصندوق من القذارة بحيث تأنف هي من لمسه.

فقالت دونيلا: «أشكرك كثيراً، وساكون شاكرة لك جداً إذا ساعدتني.» ثم سارت نحو منضدة الزينة.

رفعت شعرها المستعار، ووضعته على المنضدة قبل أن تقول: «بما أننا سنرحل باكراً في الصباح، أكون شاكرة لك جداً إذا أنت وضعت هذا الشعر في علبته، وستجدينها على منضدة الزينة في الغرفة التي كنت فيها.»

أجابت الخادمة: «لقد رأيتها هناك.»

«ضعي الشعر في علبته بكل حذر، أما هذا الثوب فاطويه وضعيه فوق الصندوق.»

كانت تفكر وهي تتحدث عما سيكون في تصرفها من قلة ذوق لو أن الشعر المستعار أو الثوب حصل لهما أي تشويه، وكم سيكون استياء ميلي إذا وجدتهما في حالة سيئة.

وضعته الخادمة على ذراعها. ثم ناولتها دونيلا الورود التي كانت حول عنقها ومعصميها وهي تقول: «إنك طبعاً ستحزمين كل هذا بكل عناية، ثم أين حقيبة يدي؟»

أجابت الخادمة: «في الدرج.»

ففتحته دونيلا ثم أخرجت منه نصف جنيه ذهبي وهي تقول لها: «هذا لك، وشكراً لعنايتك بي.»

لم تستطع الخادمة تناول القطعة النقدية بسبب ما تحمله من الملابس، فوضعتها دونيلا في جيب مئزرها الأبيض. خيل إليها أن الدهشة قد تملكت الخادمة لذلك، ثم قالت: «شكراً. سأهتم جداً بحزم هذه الأشياء جيداً.»

قالت دونيلا: «أعرف أنك ستفعلين ذلك، وأنا شاكرة لك جداً.» ثم اسرعت تفتح لها الباب نظراً لامتلاء يديها. وعندما مرت هذه من أمامها قالت لها: «أرجو أن تعتني بنفسك.» ثم أسرعت تجتاز الممر. أغلقت دونيلا الباب وهي تفكر في غرابة ما قالته الخادمة لها.

توقفت فجأة ثم سارت إلى الباب تقفله بالمفتاح.

عندما كانت تسافر وأمها إلى وورسستر شاير، من بورتسماوث، كانتا تبيتان في الطريق في الفنادق، وكانتا تتشاركان غرفة واحدة، ليس فقط لأن ذلك كان أرخص، ولكن لأن أمها لم تكن تريدها أن تنام بمفردها.

كانت أمها دوماً تقفل الباب بالمفتاح، وسألتها ابنتها: «لماذا تفعلين ذلك، يا أماه؟»

أجابت أمها: «لا نريد أن يقتحم أحد غرفتنا، هذا إلى أن عليك أن تتذكري دوماً أن هناك لصوصاً قد يحاولون سرقة ما نملك.»



فسألتها دونيلا: «وإذا لم يكن هناك لصوص؟»

فأجابت أمها: «الاحتياط دوماً أفضل من الندم.»

وجلست دونيلا أمام المرآة ترفع الدبابيس عن شعرها، تفكر في أنها في أمان ما دام الباب مقفلاً. ولكنها كانت تشك في أن يكون في منزل الماركيز لصوص.

فالخدم هنا لا بد وأنهم أمناء مخلصون كخدم زوج أمها، ذلك أن الواحد منهم إذا طرد دون شهادة خدمة، فمن المستحيل أن يجد عملاً في منزل آخر.

كان شعرها، بعد ذلك الشعر المستعار الذي تشوّه شكله، بحاجة إلى التنظيم الجيد ليستعيد شكله الطبيعي.

اغتسلت، وأزالت كل المساحيق عن وجهها قبل أن ترتدي قميص النوم، وبعد أن فتحت النافذة خلف الستائر، أوت إلى فراشها، وهي في حالة من التعب الشديد، حيث انها لم تنم الليلة السابقة إلا قليلاً.

حدثت نفسها أنه كان من الشهامة البالغة أن ينقلها الماركيز إلى هذه الغرفة الفخمة.

شعرت بشيء من الخوف من أن تتملك الغيرة كيتي وديزي إذ هما عرفتا بنقلها إلى هذه الغرفة.

ثم أطفأت الشمعة التي بجانب سريرها، وما لبثت أن أغمضت عينيها. كان الهدوء البالغ يغمر المكان وشعرت بنفسها تنساق بعيداً.

كانت تحلم بأنها تمتطي صهوة جواد أسود اللون، ثم تقترب شيئاً فشيئاً إلى حيث ستؤدي القفزة العالية جداً.

وكانت على وشك أن تقفز بالجواد، عندما نبهها صوت ما.

وللحظة، بدا ذلك جزءاً من الحلم. ثم سمعت صوت رجل يقول: «هل أنت نائمة حقاً، أم انك تتظاهرين بذلك؟»

بدا وكأن هذا الصوت امتزج بشكل ما بالجواد الذي كانت تمتطيه.

لكنها عندما فتحت عينيها انتبهت إلى ضوء بجانبها ورجل يجلس على كرسي الى جانب سريرها وهو ينظر إليها، ومرت لحظة لم تصدّق فيها ما تراه عيناها. لكن الذهول ما لبث أن تملكها وهي ترى أنه الماركيز.

وحده فاضيه
منتدى ليلاس



# الفصل الخامس

ابتعد الماركيز عن ضيوفه في اقصى الغرفة، إلى الأريكة حيث كان قد ترك دونيلا.

دهش كثيراً عندما لم يجدها، نظر حوله فلم ير لها أي أثر في الغرفة.

عند ذلك فكر في أنها لا بد صعدت إلى غرفة نومها في الطابق الأعلى.

كان الماركيز، حريصاً جداً على اسم أسرته وكذلك على وضعه الاجتماعي.

فهو ما كان ليفكر مطلقاً، في أن يقيم في منزله، مثل هذه الحفلة التي يقيمها هذه الليلة.

كان هناك يستضيف رجال الدولة، والسياسيين وقادة المجتمع وعدد كبير من أفراد الأسرة المالكة.

كان قد جاء إلى الريف لاقامة سباق النقاط هذا الذي اعتاد أن يقيمه في أرضه كل عام يرافقه اصدقاؤه الذين يسعد برفقتهم كثيراً.

كان يحب صحبتهم، ويستمتع بوجودهم إلى أقصى حد لأنه يتمكن معهم بالحديث عن جياده، فقد كان هذا الموضوع يهمه بنوع خاص.

اعدت الحفلة، وإذا باثنين من اصدقائه يستأذناه في إحضار زوجتيهما معهما.

وفكر الماركيز أنه من الخطأ وجود امرأتان فقط في هذه الحفلة.

وعندها سأل بقية ضيوفه عما إذا كان أحداً منهم يرغب في احضار زوجته معه.

دهش عندما وافق الجميع على ذلك ما عدا اثنين من جيرانه.

حيث أنهما كانا يسكنان بعيداً نوعاً ما، فقد سألاه إن كان بإمكانهما أن يبيتا الليلة في منزله. لكنهما أخبراه بأنهما سيكونان بمفردهما.

وفي آخر لحظة، تذكر الماركيز أن الثلاث أجراس فتيات بازيل بانكس هن جميلات جداً.

كان يتناول طعام العشاء غالباً في صالات ايفانز.

كان من المعجبين باداء تلك الفرقة الغير عادية التي كان يقدمه صاحبها.

فقد كانت هذه الفرقة، في الحقيقة، الأفضل في لندن.

خطر بباله فجأة، أن المدعوين إلى الحفلة التي سيقيمها، لا بد وان يستمتعوا باداء بازيل بانكس وأجراسه الثلاث، ونظراً لمركزه الهام، فقد رضي صاحب صالات العشاء بأن يرسل اليه هذه الفرقة مستعيضاً عنها لهذه الليلة فقط بشيء آخر.

وطبعاً، دفع له الماركيز بدل هذا الامتياز الذي خصه به.

كما كلفه اقناع بانكس واستدعائه مع فتياته إلى الريف، ثم إعادتهن إلى لندن في اليوم التالي، مبلغاً كبيراً من المال.

ذلك أن الماركيز إذا رغب بشيء، كان من الصعب أن ترفض رغبته.

عندما كان يجلس إلى رأس المائدة، كان منتبهاً إلى الحماس والتصفيق الذي قابل به المدعوين ذلك العرض.



حدث نفسه، بشيء من الأسف على السنوات الماضية، أن مثل هذا الأمر، يجب أن يتكرر كل عام.

في الواقع، شعر الماركيز بالذهول عندما غنت دونيلا.

كان قد سبق له أن سمع صوت ميلي وهي تغني.

لكن صوت دونيلا الصافي والطفولي كان مذهلاً بالغ التأثير بنقائه، مما جعل الحاضرين يستمعون بصمت بعد سماعهم السطور الأولى من الأغنية.

أدرك الماركيز أن هذا التصرف هو أمر غير عادي بالنسبة للجالسين حول مائدته. ففي مثل هذه المناسبات، كانوا لا يستمعون إلى غير أصواتهم.

كما لاحظ أن المدعوين، أكثر اهتماماً بمنظر كيتي وديزي، خصوصاً بتلك الرقصات التي قدمتاها، وقد فضلوا ذلك عن أي غناء أو حديث.

عندما انحنت دونيلا للمتفرجين للمرة الأخيرة، لم يتأكد الماركيز فقط من أنها لم تكن ميلي، وإنما كان الفضول يتملكه لمعرفة كيف أمكن لبانكس أن يجد فتاة تختلف إلى هذا الحد عن عارضات ايفانز.

عندما جلست دونيلا بجانبه إلى المائدة، أمكنه أن يرى مقدار جمالها.

كما أنها أخذت تتكلم بصوت مثقف يختلف تماماً عن صوتي الجرسين الآخرين.

عندما ذهبا إلى غرفة الاستقبال، كان مصمماً على أن يعرف المزيد عنها.

خطر له بأنها خرجت من الغرفة لظنها بأن بقية المدعوين كانوا يتصرفون بشكل سيء.

كان قد سبق وطلب من رئيس الخدم بأن ينقلوها إلى تلك الغرفة القريبة من غرفته.

ذلك أنه لم يكن يريد زيارة القسم الآخر من المنزل حيث كان بقية أعضاء الفرقة ينزلون.

مضت فترة قبل أن يتمكن من الصعود إلى غرفته.

كانت الحفلة الآن قد شارفت على نهايتها وأخذ المدعوون يخرجون من منزل الماركيز.

وهكذا أنهى الماركيز الحفلة مفكراً، انهم من دون شك يشعرون بالتعب بعد ذلك النهار المرهق.

وعندما صعد إلى الطابق الأعلى، أخذ الخدم في إطفاء الشموع.

عندما وصل الماركيز إلى غرفته، كان خادمه الخاص في انتظاره، فخلع ثيابه بسرعة.

عندما غادره خادمه الخاص، كان هو يرتدي معطفاً منزلياً طويلاً من القطن.

بعد ذلك فتح باب غرفته المؤدي إلى غرفة الجلوس الخاصة.

كانت هذه، غرفة جميلة جداً وهي التي تفصل عادة، غرفة السيد عن غرفة السيدة زوجته.

كانت الغرفة قد زينتها واثثتها أمه، وهي التي اختارت كل شيء بنفسها.

كما أن اللوحات كانت اختارتها من معرض للرسوم.

مع أنها توفيت منذ خمس سنوات، فقد دأب البستاني على إعطاء مدبرة المنزل الزهور يومياً لتضعها في غرفة الجلوس الخاصة بها.



بعث شذا الزهور تلك، الانتعاش في نفس الماركيز وهو يجتاز الغرفة متجهاً إلى الباب الذي يؤدي إلى غرفة النوم.

وعاد الماركيز إلى غرفة الجلوس حيث جاء بشمعدان بثلاث شمعات، ثم عاد به إلى غرفة دونيلا، ورآها في الفراش تغط في النوم العميق.

لكنه كان واثقاً من أنها تتظاهر بذلك. عندما اقترب منها رأى شكلها يختلف تماماً عنه في غرفة الاستقبال.

نظر إلى شعرها الذي لم يسبق له قط أن رأى شعراً بجماله.

فقد أبرز ضوء الشموع الوهج الأحمر من بين شعرها الذهبي.

وضع الشمعدان على المنضدة الملاصقة للسرير، ثم نظر إلى دونيلا.

سألها: «هل أنت نائمة أم تتظاهرين بذلك؟»

عند ذلك فتحت دونيلا عينيها. رأى أنهما بقيتا لحظة يثقلهما النعاس، وعندما عرفته أجفلت ثم قالت: «ماذا... جرى؟ هل حدث... شيء؟»

«والآن، ما سبب هذا كله؟»

فقالت: «إنني... خائفة... أريد أن أهرب.»

فقال: «أليس هناك حاجة بك إلى عمل كهذا؟»

«بل هناك...»

قال: «إذا كنت قد أسأت إليك، فأنا أعتذر اخبريني لماذا أنت مع بانكس مدعية بأنك واحدة من أجراسه الثلاثة؟»

انتظر، وعندما نظرت إليه رأى الخوف في عينيها، فقال: «والآن، ما رأيك في أن نبدأ من البداية، فتخبريني

بالسبب الذي جعلك تأتين إلى منزلي هذه الليلة مع مثل هذه الفرقة التي اشتهرت في اداء العروض في صالات العشاء اللندنية؟»

فقالت: «إنني... إنني لم أكن أعلم... ذلك.»

فقال مصراً: «بل لا بد أنك كنت تعلمين، وإلا لما كنت معهم.»

ساد الصمت برهة قالت دونيلا بعدها وكأن الكلمات تخرج من بين شفتيها بالقوة: «لقد... لقد قابلت السيد بانكس... في عربة السفر العمومية.»

نظر الماركيز إليها غير مصدق، ثم هتف يقول: «في عربة السفر العمومية؟ أتريدين أن تقولي إنك قابلت بانكس وفتاتيه لأول مرة أثناء قدومهم إلى هنا؟»

أومأت دونيلا برأسها.

قال: «لماذا جئت إذن إلى هنا هذه الليلة؟»

ترددت دونيلا. لقد رأت أن من الخطأ أن يعرف الماركيز الكثير عنها. ولكنها عادت فرأت أن ليس ثمة ما يعرّضها لأي خطر ما دامت ستترك منزله صباح الغد.

قال يحثها: «إنني أنتظر جوابك.»

فقالت: «كنت في عربة... السفر... فأخبروني بأنهم... قادمون إلى هنا... لاداء عروض للتسلية. وحيث أنه... لم يكن لديّ مكان أبيت فيه الليلة... اقترحوا عليّ... أن آتي معهم.»

«ماذا تعنين بقولك لم يكن لديك مكان تبيتين فيه الليلة؟ إلى أين كنت ذاهبة؟»

«ذ... ذاهبة... بعيداً.»

«بعيداً إلى أين؟ ومن أين؟»



«هذا... شأني.»

فقال يناقشها: «أظنه شأني أنا أيضاً. فقد جئت إلى هنا بصفتك عضو في فرقة ترفيه من صالات ايفانز. ولكنك كنت شيئاً مغايراً تماماً.»

فلم تجب، وعاد هو يقول: «أظن كان عليّ أن أعلم منذ سمعتك تغنين وبعد أن تحدثت إليك، أنك لست كما تدعين. ولكنني خدعت بشعرك المستعار وبالذين ترافقينهم.»

كان في صوته لهجة توبيخ جعلت دونيلا تشعر بالخجل وهي تقول: «لم اتوقع... ابداً أن... كيتي وديزي سترتديان مثل هذه الملابس وعندما علمت... كان الأوان قد فات.»

فقال: «نعم... فات تماماً، وأظنك لم تفهمي السبب الذي جعلني أنقلك إلى هذه الغرفة؟»

فاتسعت عينا دونيلا: «لقد قالت لي الخادمة... أنك أردتني أن... أكون أكثر ارتياحاً... وقد ظننتها... شهامة كبرى منك.»

فقال الماركيز: «هذا ما أتوقع أن يكون ظنك بي. ولكن يجب أن تدركي أنك إذا تعرفت على أناس غرباء في عربة عمومية، ولم تكن لديك فكرة عن مكان تبيتين فيه ليلتك، فقد تتعرضين لأي نوع من الخطر.»

فجذبت دونيلا نفساً عميقاً، ثم قالت: «معك حق... أظن ذلك كان غباء بالغاً... مني. ولكن لم يخطر ببالي... أيّ شيء من هذا... عندما هربت.»

هتف: «لقد كنت هاربة إذن؟ لماذا؟»

فأدركت دونيلا انها اوقعت نفسها بالخطأ، ولم تستطع النظر إليه: «لا أستطيع... إخبارك.»

«تعنين انك لن تخبريني.»

«سيكون من الخطأ فعل ذلك... كما عليّ أن... أختبىء... نعم... يجب عليّ ذلك... ولكنني سأكون على حذر.... ولن أقع في... مثل ذلك الخطأ... مرة أخرى.»

سألها: «وكيف تتأكدين من ذلك؟»

فساد صمت قال بعده: «لا تكوني سخيفة، لا يمكنك أن تطوفي في الأنحاء وأنت بهذا الجمال ما يجعل كل رجل يراك، يريد التعرف اليك.»

فقالت: «سأفتش عن... قرية هادئة... لا يهتم أحد فيها بي.»

فقال: «حتى في القرى يوجد رجال.»

فرآها قد انتابتها رجفة.

ساوره الشك عند ذلك، في أن ما يسمعه منها ليس سوى نوع من الخداع لم يسمع به من قبل.

وقال بصوت حاد أجفلت منه دونيلا: «لمن كانت تلك الجياد التي كنت تمتطينها عندما كنت في الريف؟»

وإذ كان هذا سؤالاً مفاجئاً لم تتوقعه، اعترفت بالحقيقة: «إنها... لزوج أمي.»

فنظر الماركيز بإمعان، ثم قال: «إذا كنت تكذبين فسأعلم ذلك حتماً.»

قالت: «أنا لا... أكذب. ولكنني لا أريد أن... أتحدث في هذا... الموضوع.»

وإذ كانت واثقة من أنه سيلح عليها بالكلام، قالت بصوت يستدر الشفقة: «إنني متعبة... وأنت تستبد بي. أرجوك... أرجوك... دعني أنام.»



فتردد الماركيز قليلاً، ثم قال: «حسناً جداً، سنتحدث بذلك، في صباح غد. ولكن عليك أن تثقي بأنني أريد مساعدتك.»

وقف وأخذ يحدق فيها وهي تجلس على ناحية السرير البعيدة عنه، ثم قال: «لدي الكثير أريد أن أحدثك به. ولكننا سنترك هذا كله إلى الصباح.»

فلم تتحرك، ولكنه كان يعلم بأنها تراقبه بحذر، فقد كانت تشعر بالخوف من أنه يريد خداعها.

لكنها، عندما رأته يحمل الشمعدان ويتجه نحو الباب الذي جاء منه، قالت بصوت خافت: «شكراً.»

استدار الماركيز لينظر إليها.

لم يتصور أن ثمة من هي أجمل منها هذا ما جعله يتساءل عما إذا كان مخدوعاً.

فقد كانت البراءة في وجهها، بعيدة عن التصديق وقال لها: «تصبحين على خير، يا دونيلا.»

ثم خرج مغلقاً الباب خلفه. وإذ اعاد الشمعدان الى غرفة الجلوس الخاصة، توجه إلى غرفته.

لم يكن يصدق تماماً ما حدث.

وعندما استلقى في السرير، أخذ يستعيد كل ما قيل بينهما من كلام.

لكنه لم يكن واثقاً تماماً من أنه لم يكن مغفلاً.

• • •

عندما تأكدت دونيلا تماماً من ذهابه، أشعلت الشمعة التي بجانب سريرها، ثم سارت نحو الباب الموصل بين الغرفتين.

وحده فاضيه
منتدى ليلاس

وكما كانت ترجو، وجدت مفتاحاً في القفل، فأدارته ثم سارت نحو النافذة تنظر منها.

كان ضوء القمر قد حوّل الحديقة إلى مكان بديع ورائع.

قالت في نفسها: يجب أن أغادر المنزل، وبسرعة.

ثم اتجهت إلى خزانة الثياب حيث وجدت أن الخادمة قد سبق وعلقت فيها الثوب والسترة المخملية التي جاءت بهما. كما كانت حقيبة ملابسها ملقاة في ارض الخزانة.

لم تستغرق في ارتداء ملابسها وقتاً طويلاً.

ثم وضعت كل حاجياتها في الحقيبة. وعندما انتهت أدارت نظراتها في أنحاء الغرفة لكي تتأكد من أنها لم تنس شيئاً.

وببطء شديد كيلا تحدث صوتاً، أدارت المفتاح في القفل، ثم انصتت قبل أن تفتح الباب.

كان السكون العميق يعم المكان، فخرجت إلى الممر.

ورغم أن الخدم كانوا قد أطفأوا الأنوار جميعاً، إلا أنهم كانوا دوماً يتركون شمعة مشتعلة.

سارت بخفة فوق السجادة، حتى إذا وصلت إلى قمة السلم وقفت تنظر حولها.

ثم أخذت تسترق النظر إلى الردهة. كان رئيس الخدم يغفو فوق الكنبة، وبذلك، فهو لن يستطع رؤيتها.

وتابعت سيرها في الممر الذي كانت فيه غرفتها الأولى، مفكرة أنه ربما عليها أن تخبر بانكس بأمر ذهابها. ولكنها ما لبثت أن وجدت الأمر قد يتطلب منها تفسيراً فهي لم تكن تستطيع إخباره أو إخبار أي شخص آخر بأن الماركيز جاء إلى غرفتها.



فقد كانت تعرف جيداً كم كان هذا ليخيف أمها.

قد يتطوّع بازيل بانكس بأن يعنّف الماركيز لمحاولاته هذه.

هذا أيضاً سيكون خطأ بالغ.

فهي عندما تختفي، لن يقلق عليها احد خاصة الماركيز.

وصلت إلى السلم الثانوي الذي كان الخادم قد أرشدهم إليه عند وصولهم.

بعد نزولها، اتجهت نحو غرفة الطعام. كانت تحاول أن تجد باباً ينفذ منه إلى الحديقة. كانت واثقة من أنها ستجد واحد، فقد كان في منزل زوج أمها عدة أبواب تقفل جيداً أثناء الليل.

لذا، فقد كان من غير المحتمل أن يسمعها أحد تحاول الخروج في هذا الوقت.

إلى اليسار كان ثمة ممر شديد الظلمة، وتصورت أن الباب الذي كانت تبحث عنه قد يكون في آخره. فسارت فيه متحسسة طريقها.

وإذا بها تسمع فجأة أصواتاً، فوقفت خائفة ممن قد تواجه.

لكنها شعرت بالإستغراب لوجود أحد في مثل هذا الوقت من الليل..

عند ذلك سمعت صوت رجل يقول: «هل فعلت ما أخبرتك به؟»

أدركت من لهجة الرجل أنه من طبقة راقية. «لم يكن ثمة فائدة، فالرجل لم يكن موجوداً.»

كان واضحاً أن الرجل الذي أجاب على السؤال، غير مثقف. وقد أدركت ذلك من لهجته العامية.

سأل الرجل الأول: «ما الذي تعنيه بقولك لم يكن موجوداً؟»

أجاب الرجل الثاني: «لقد ذهبت إلى غرفته كما قلت لي، ولكن العصفور كان قد طار.»

فقال الأول: «تباً، لا بد أنه في غرفة تلك المرأة التي غنت لنا. لم يخطر ببالي قط أنها ستعجبه.»

فقال الثاني: «حسناً، إنه لم يكن في غرفته، هذا أمر مؤكد.»

«كان بإمكانك أن تنتظره.»

«هذا خطر. لربما تأخر في العودة.»

فقال الرجل الأول: «إذن، علينا القيام بذلك في لندن. إنه سيعود غداً، أو ربما بعد غد باكراً.»

فقال الرجل الثاني: «ولكن السباق، سيكون يوم الخميس.»

أجاب الرجل الأول: «أعرف ذلك. وإذا أنت لم تجعل من اشتراك الرجل الأول مستحيلاً، فأنا سأفلس... هل تفهم؟ بامكانك انقاذي في السباق وحدك، وعليك أن تنجح مهما كلف الأمر.»

«سأبذل جهدي. ولكن الأمر ليس سهلاً.»

«عليك أن تدخل منزله في لندن. سأعطيك خريطة تسهّل عليك الدخول بحيث لا يكون الأمر أصعب من دخولك إلى غرفته هذه الليلة.»

فقال الرجل الثاني: «كل ما أرجوه، هو أن يكون في غرفته عندما أذهب إلى هناك.»

فقال الآخر: «قلت لك انه كان عليك انتظار عودته.»



وساد الصمت قليلاً، قال بعده بغضب: «عد إلى لندن، وهاك بعض المال أجرة للطريق، وسأراك غداً ليلاً. ضع في رأسك بأن هذه فرصتنا الأخيرة.»

قال الرجل الثاني شاكياً: «قلت لك انني سأبذل ما في وسعي.»

سمعت دونيلا صوت الباب يفتح. عند ذلك أدركت أنهما قد يكتشفان وجودها وبسرعة، استدارت ثم أسرعت عائدة من حيث جاءت.

صعدت السلم واجتازت الممر، وفقط، عندما وصلت إلى غرفتها، أخذت تفكر بخوف شديد، في ما كان يقوله الرجلان.

لقد كان الرجل عازم على الحاق الضرر والأذى بالماركيز، وأن يجعله عاجزاً عن ركوب جواده للاشتراك في سباق يوم الخميس.

كانت هذه جريمة لا يمكن تصورها. ثم تذكرت ما كان الماركيز قد قال، من أن جواده الذي سيشترك به في السباق هو من أفضل جياده. فإذا هو انسحب في آخر لحظة، فإن الحصان التالي سيتمكن من الفوز.

كان زوج أمها قد شرح لها بالتفصيل كيف تجري مثل هذه المباريات ولهذا تستطيع أن تفهم أن ما يُحاك حول الماركيز من مؤامرة، بالرغم من كونه فارس ممتاز، سيجعل من فوزه بعيد الاحتمال.

حدثت نفسها بأن عليها اخباره بالأمر، تراجعت عن هذه الفكرة وقد رأت في أن هذا ليس من شأنها، وأن أفضل شيء تقوم به هو أن تتابع الطريق الذي رسمته لنفسها.

فالآن، لا بد وأن ذلك الرجل قد ذهب إلى فراشه. بينما الوغد ينتظر مرور عربة عمومية لتقله إلى لندن.

عند ذلك أدركت دونيلا أنها من الخوف بحيث لن تستطيع السير في ضوء القمر بمفردها.

كما أنه سيكون من الجبن، وعدم النزاهة أيضاً أن لا تخبر الماركيز بما سمعت به.

حدثت نفسها بأن والدها لو كان موجوداً لاعتبر ذلك واجباً عليها.

لكنها كانت متلهفه إلى الابتعاد عن هذا المكان. فقد كانت تريد أن تنسى أنها رأت كيتي وديزي وكل ما يذكرها بهما.

كانت أيضاً، هاربة من الماركيز.

وحده فاضيه
منتدى ليلاس



# الفصل السادس

استيقظت دونيلا عندما دخلت الخادمة إلى الغرفة وابعدت الستائر عن النافذة، فعادت دونيلا إلى الواقع بشيء من الجهد.

سألت: «كم الساعة الآن؟»

أجابت الخادمة: «إنها العاشرة والنصف، يا آنسة. ثم إن السيد يريد رؤيتك متى نزلت إلى الطابق الأسفل.»

فجلست دونيلا في السرير وسألت: «العاشرة والنصف؟ هذا غير ممكن.»

أجابت الخادمة: «لقد كنت مستغرقة في النوم، يا آنسة، ولهذا لم أشأ ازعاجك.»

وحاولت دونيلا أن تتذكر ما حدث.

وحين أحضرت الخادمة لها صينية الافطار، سألتها: «هل غادر السيد بانكس والفتاتان اللتان معه، المنزل؟»

فأجابت الخادمة: «آه، نعم، يا آنسة. لقد غادروا باكراً جداً أظن في الثامنة والنصف.»

وتذكرت دونيلا ان العربة العمومية المتجهة نحو لندن تتوقف عند البوابات الساعة التاسعة.

ولم تكن هي قد نوت الذهاب معهم.

ولكنها رأت أن من سوء الأدب ألا تودعهم. وعلى كل حال، لم يكن بإمكانها أن تفعل شيئاً في هذا الشأن وهكذا

ابتدأت تتناول افطارها. وكانت الخادمة في هذه الاثناء تنظم الغرفة.

ولاحظت دونيلا انها ليست نفس الفتاة التي خدمتها الليلة الماضية.

فقد كانت امرأة اكبر سناً لم يبد عليها الاستنكار كما كان بدا على الخادمة الأخرى.

وعندما انهت دونيلا طعامها، احضرت إليها ماء ساخناً لتغسل يديها ووجهها.

قالت دونيلا: «سأكون شاكرة إذا أنت وضعت كل حاجياتي في الحقيبة التي لدي، ما عدا الثياب التي سأرتديها.»

فقالت الخادمة: «انك تسافرين بأمتعة خفيفة جداً، يا آنسة.»

لم تجب دونيلا.

كانت تتساءل إن كان بمقدورها ان تطلب من الماركيز نقلها الى القرية حيث يمكنها ان تستقل عربة عمومية الى مكان آخر.

أما إذا هو رفض، فسيكون عليها أن تذهب مشياً على قدميها. وكانت تعلم ان الطريق طويل ثم ان النهار كان حاراً، مما يعني انه سيكون عليها ان تحمل سترتها على ذراعها مع الحقيبة.

حدثت نفسها وهي تنظر الى صورتها في المرآة: «لا فائدة من الشكوى. إن علي ان اجد مكاناً ارحل اليه، أو اعود الى البيت حيث اتزوج من اللورد والتنفهام.

وارتجفت لهذه الفكرة.



اخيراً، سوت من شعرها، ثم وضعت على رأسها قبعتها التي تتلاءم مع ثوبها، ومن ثم أصبحت مستعدة للنزول الى الطابق الأسفل.

ومرة أخرى، منحت الخادمة هبة مالية لخدمتها لها شاعرة بالأسف لانفاقها، حتى الآن، جنيهاً كاملاً من نقودها الغالية.

لكن، ربما كان مبيتها في الفندق كان سيكلفها أكثر من ذلك.

ثم نظرت إلى نفسها في المرآة قبل ان تغادر غرفتها وبدا المنزل في غاية الهدوء بعد ضجة الليلة الماضية وصخبها.

وعندما وصلت الى الردهة، قال لها رئيس الخدم: «إن سيادته ينتظرك في مكتبه يا آنسة.»

وأثناء قوله هذا تناول حقيبة ملابسها من يدها ثم اسندها إلى أحد الكراسي.

ثم سار أمامها في الممر إلى حيث فتح لها باب المكتب الذي رأته مماثلاً تماماً لمكتب زوج أمها.

فقد كان هنالك صور جياد على الجدران إلى اثاث مريح منجد بالجلد.

وعلى كل حال، كانت عيناها متجهتين فقط الى الماركيز الجالس خلف مكتبه.

وعندما سارت إليه، وقف لها محيياً.

رأى لمحة خوف في عينيها ولكن ليس الرعب الذي كان مرتسماً فيهما الليلة الماضية.

قال بصوته العميق: «صباح الخير، يا دونيلا. أرجو أن تكوني نمت جيداً.»

فأجابت: «انني خجلى من تأخري في النوم الى هذا الوقت. ولكن... قبل أن ارحل... اريد أن اخبرك بشيء.»

فسألها: «قبل ان ترحلي؟ هل هذا ما عزمت عليه؟» وعندما اومأت برأسها، قال: «أظنك تعلمين ان بانكس وفتاتيه قد عادوا الى لندن؟»

أجابت: «ولكنني لم اكن سأذهب معهم.»

«إلى أين ستذهبين إذن؟»

فرأت أن من الخطأ ان تتحدث عن نفسها، لهذا قالت: «كان علي ان اكون قد رحلت قبل الآن ولكنني بقيت لأن لدي ما أخبرك به.»

تقدم من خلف مكتبه، وقال: «الأفضل أن نجلس، ثم انني مهتم بما ستخبرينني به.»

فجلست دونيلا على أريكة بجانب المدفأة.

لم يتكلم، وبعد صمت قصير، ابتدأت تقول: «في الليلة الماضية... بعد أن تركتني... نهضت وارتديت ثيابي.»

فسألها: «لماذا فعلت ذلك؟»

«لقد ظننت... ظننت أنه من الأفضل لي أن... أرحل.»

قال بحدة: «لا أدري لماذا كان عليك أن تقومي بعمل أحمق كهذا، ولكن... ها أنت ما زلت هنا.»

«هذا ما أحاول... قوله... لك.»

فقال: «أعتذر للمقاطعة، استمري من فضلك.»

فأخذت تحدثه متلعثمة بسبب ما تشعر به من التوتر، عن نزولها فوق السلم الثانوي في محاولة لأن تجد باباً تخرج منه إلى الحديقة. وكيف سمعت عند ذلك أصواتاً أدركت من أنها صادرة عن رجلين كانا يتحدثان همساً.



فردد قولها: «رجلان؟ ما الذي كانا يفعلانه هناك في تلك الساعة من الليل؟»

فقالت: «كان أحدهما رجلاً من طبقة راقية، أما الثاني فلا بد أنه كان رجلاً من العامة من لندن.»

حدّق الماركيز بها وسألها: «ما الذي كانا يقولانه؟»

أجابت: «كانا يخططان لإيقاع الأذى بك... وبذلك لن يمكنك... امتطاء جوادك والاشتراك... في سباق يوم الخميس.»

فبدا الشك في ملامح وجه الماركيز، ثم نهض عن كرسيه وجلس بجانبها على الأريكة وهو يقول: «لا تخافي، وإنما أخبريني بالضبط عما سمعته.»

حوّلت نظراتها بعيداً عنه، ثم أخذت تتذكر ببطء وتكرر كل كلمة تبادلها الرجلان.

استغرق ذلك منها بعض الوقت، كما ترددت لمرة أو لمرتين، خوفاً من ان ترتكب خطأ ما، كان لديها، في الواقع، ذاكرة قوية، وهذا شيء اعتادت سماعه من معلماتها في فلورنسا دائماً.

فهي لم تكن تنسى كلمة واحدة مما كانت تستظهره من شعر أو فقرات نثرية.

تابعت الكلام إلى اللحظة التي كان فيها الرجلين على وشك الفراق، فقالت: «خشيت أن يرياني، ولهذا أسرعت عائدة... إلى غرفتي... وعندما وصلت، أدركت أنه عليّ... أن أحذرك بما سمعته.»

فسألها: «ألم يخطر ببالك أن ترحلي وتدعيني لمصيري؟»

احمر وجهها خجلاً وأجابت: «لقد... لقد فكرت في ذلك... ولكنني كنت أعلم أن والدي كان ليقول لي... لو كان ما يزال على قيد الحياة... أن هذا واجبي. وعلى كل حال... كيف يمكنني أن أدعهم... يؤذونك؟ ان في ذلك إثم... وجريمة.»

فقال الماركيز: «إنني أوافقك على هذا. كما شاكر لك إلى أقصى حد، يا دونيلا، لأنك نبهتني لهذا الأمر.»

كان يتحدث بإخلاص لا شائبة فيه، فقالت: «عليك أن تلتزم... الحذر البالغ، كما أن عليك أن تطلب من... خدمك في لندن... ان يشدّدوا الحراسة عليك.»

فقال: «أعدك بأن أقوم بهذا.»

وقفت دونيلا وهي تقول: «عليّ الآن أن أرحل. أشكرك من كل قلبي لأنك سمحت لي بالنزول ضيفة على منزلك الرائع الجمال.»

فابتسم الماركيز وهو يقول: «لا أتنكر أنه كان لي أي خيار في الأمر، ولكنك تعلمين أنه أصبح من المستحيل عليك أن تتركيني الآن.»

نظرت إليه بدهشة، ثم سألته: «لماذا تقول هذا؟»

أجاب: «لأنك لا بد وتدركين بأنك الشخص الوحيد الذي يمكنه التعرف إلى الذين سيهاجمونني، أو إلى ذلك الشخص الذي سيدفعهم لمهاجمتي.»

فاعترضت قائلة: «لكنني... لم أرهم.»

«لكنك سمعتهم.»

تسمّرت دونيلا في مكانها.

فقال الماركيز: «لقد سمعت صوت السيد المثقف، وأنا لا



أصدق، خاصة الذاكرة القوية التي تتمتعين بها، انه ليس بامكانك أن تتنكريه إذا سمعته مرة أخرى.»

فقالت بسرعة: «لا... لا يمكنني أن... أقوم بهذا العمل. أظن أن كل ضيوفك... قد رحلوا الآن، وأنه هو ايضاً... رحل إلى لندن.»

فقال: «هذا صحيح، ولكن بما أنني أنا أيضاً ذاهب إلى لندن، أظن انه ينبغي عليك القدوم معي.»

«لا يمكنني... نلك.»

«لِمَ لا؟»

فأخذت تفكر في عذر مقبول تتذرع به، بينما انتظر هو، فقالت أخيراً بصوت خافت: «أريد... أريد أن أبقى في الريف... فهو أكثر أماناً.»

فقال: «إذا كان هذا ما يشغل بالك، فكما قدمت إلي الحماية، سأقدمها إليك أنا أيضاً، وأعدك إذا أنت جئت معي إلى لندن، بالا أدع أحداً يخيفك.»

فقالت ببراءة: «ولكن... ليس هناك من أمكث عنده... في لندن.»

فابتسم وقال: «هناك إحدى عماتي وهي اللايدي إديت فورد، وهي تعيش معي. لقد كانت قد كسرت ساقها ولهذا فقد لازمت غرفتها، وستكون حارسة فعّالة لك، إذا كان هذا ما تخافينه.»

وحاولت عبثاً، أن تجد عذراً آخر لكي لا تذهب معه. وإذ لم تتكلم، وقف الماركيز وقال: «سأغادر إلى لندن. وأظنك ستستمتعين بالسفر خلف جيادي الجديدة الأصيلة، سنشرع بالرحلة بعد ربع ساعة.»

فسألته: «هل... هل يجب أن اذهب... معك حقاً؟»

أجاب: «آسف إذا كنت تكرهين ذلك، ولكنني لا أريد أن يهاجمني أحد لا في الليل ولا في النهار.»

قالت: «كلا، بالطبع، كل ما في الأمر أنني... ظننت أن عليّ أن أخبرك... بما سمعته... ومن ثم أرحل.»

قال: «إذا أنت بقيت معي، دعيني أطمئنك إلى أنني مديون لك من أعماق قلبي، وسأقوم بكل ما في وسعي لكي أرضيك.»

كان يتكلم بلهجة خالية من أيّة سخرية ما جعلها تشعر بالحرج، إلى شيء من الخجل.

«أشكرك، ولكنني لم أكن أعني أنني سأكون عبئاً عليك.»

فقال الماركيز: «من محاسن الصدف ان التقي بك، ودعيني أقول لك أنك لو كنت قد تواريت الليلة الماضية كما قررت، لأصابني بسبب ذلك الكثير من الانزعاج والقلق.»

قالت: «إنك لا تتوقع مني أن أصدق ذلك... وبعد... فأنا لم أحضر إلى هنا... إلا لتسلية... ضيوفك.»

فقال: «وهذا ما نجحت به تماماً، ثم انك لم تدخلي التسلية إلى نفسي فقط، بل أثرت فضولي واهتمامي.»

فكرت دونيلا كيف جاء اليها الليلة الماضية، فشعرت بالخجل. وهمّ هو بأن يقول شيئاً، ولكنه قال بدلاً من ذلك، بلهجة عملية: «سأشرع في الرحيل بعد دقائق. أتريدين شيئاً قبل أن نذهب؟»

أجابت: «كلا، شكراً لقد تناولت لتوي إفطاراً لذيذاً كما أن حقيبة ملابسي في الردهة.»

نظر الماركيز في ساعة يده وقال: «أظن أن الجياد قد أحضرت الآن.»



عندما اجتازا الممر، فكرت دونيلا بشيء من الكآبة في أنه من المحزن ألاّ تسنح لها فرصة اخرى لرؤية المزيد من منزل الماركيز الرائع هذا.

في المنزل لوحات كانت تحب أن تتأملها اكثر وأثاث فخم كانت تعلم أنه قد يدهش والدتها لو شاهدته.

لكن اهمّ من كل ذلك، تمنت لو رأت المكتبة. وفكرت في أن الوقت قد فات على هذا الأمر، ولن تسنح لها فرصة أخرى بعد الآن.

عندما وصلا إلى القاعة، كانت عربة مكشوفة تجرها أربعة جياد أصيلة تماماً، تقف أمام الباب، وسارت دونيلا إلى الباب المفتوح لتنظر إلى الجياد، ثم هتفت: «ما أروعها. من الصعب التمييز بين الواحد والآخر منها.»

قال الماركيز: «هذا ما يقوله السائسون في الإصطبل، فإذا نحن لم نضرب الرقم القياسي في الوصول إلى لندن، فستكون خيبة أملي كبيرة.»

ولم تتذكر دونيلا حقيبتها إلا بعد أن هبطا درجات المنزل. فهتفت وهي تنظر خلفها: «حقيبتي.»

ثم رأت خادماً يحملها ويضعها في القسم الخلفي للعربة.

فسألها الماركيز: «أهذا كل ما تحملينه معك؟»

ضحكت لما رأته في عينيه من الدهشة، وأجابت: «إنه كل ما استطعت حمله.»

ساعدها على صعود العربة، ثم استدار إلى الناحية الأخرى لكي يصعد إلى مكان القيادة.

كان ثمة سائس قد سبق وجلس في الخلف، وما أن

تحركت بهم العربة، حتى انحنى رئيس الخدم ومعاونيه احتراماً.

اجتازت العربة، الجسر العتيق فوق البحيرة، ثم نزلا يقطعان الطريق بسرعة.

استقرت دونيلا في مقعدها بارتياح، فقد كانت تعلم أنه سيسرّها كثيراً السفر في مناطق الريف الانكليزي، كما لاحظت أن الماركيز كان خبيراً في القيادة والامساك باللجام، كما توقعت تماماً.

ثم خرجوا من البوابات الحديدية الفخمة، وأثناء مرورهم في القرية، كان القرويون يخرجون من أكواخهم نساءً ورجالاً، ثم ينحنون محيين.

قالت له: «أظن ان قريتك جميلة جداً.»

أجاب: «إنني فخور بها، ويسعدني أن كل من يعيش هنا يشعر بالسعادة.»

فسألته: «هل تهتم حقاً بالناس الذين يعتمدون عليك.»

أجاب: «في الحقيقة، نعم وإذا كان هذا يدهشك، فأنا اعتبر ذلك إهانة لي.»

فقالت: «أرجو منك الصفح، ولكن حسبما سمعت، فإن حياتك حافلة، ولديك الكثير من العمل بحيث لم أتوقع منك أن تهتم بالأمور العادية البسيطة التي تحدث في هذه القرية الريفية.»

قال لها: «يبدو من كلامك أنك تعرفين الكثير عن الريف.»

«لقد عشت وأمي في قرية صغيرة مثل قريتك لكنها ليست بمثل جمال هذه، وذلك في وورسستر شاير.»



فقال: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

فترددت دونيلا لم تشأ أن يعرف الكثير عنها.

وبدلاً من ذلك سألته مغيّرة الموضوع: «عندما نصل إلى لندن، كيف سنعثر على الرجل الذي يريد أن يمنعك من الفوز في سباق الخميس؟»

كان الماركيز الآن مشغولاً بإدارة جياده حول منعطف وعندما انتهى من ذلك قال: «إنني أشتبه في ثلاثة أمضوا الليلة الماضية في منزلي، الشيء الوحيد الذي أستطيعه هو أن أرى كل واحد على انفراد، وعليك أنت تخبريني من منهم النذل.»

فقالت: «أفرض... افرض أنني أخطأت.»

قال: «لا أظن هذا امر محتمل، ولكن إذا حدث هذا، عليّ طبعاً أن أنتظر إلى أن يحاولا مرة أخرى.»

صدرت عنها صرخة رعب خافتة وهي تقول: «يجب عليك... أن تتوخى الحذر، يجب...»

سألها: «وهل هذا يهمك حقاً؟»

«سأشعر بأنني... مسؤولة إذا حدث شيء، لأنني لو كنت... بقيت وقتاً أطول... ربما كان الرجل الأول دعا الرجل المثقف باسمه.»

فقال: «لو كنت فعلت ذلك، لكانت حماقة بالغة منك، لأنه لو اكتشفا وجودك لقاما بعمل يطمئنهما إلى أنك لن تتمكني منه بكشف ما سمعته.»

فسألته خائفة: «أتعني أنهما... كان من الممكن أن يقتلاني؟»

أجاب: «قد يكون ذلك... أو ربما قد يسجنونك. كلا يا

دونيلا لقد كنت عاقلة جداً بتصرفك، ولهذا السبب يجب أن نكون في غاية الحذر في كل ما نقوم به.»

فقالت: «نعم... بالطبع.»

استمرا في السير إلى أن حان وقت الغداء، فوقفا أمام فندق فخم كان أصحابه بانتظار الماركيز وقد حجزوا له غرفة خاصة.

عندما قُدم الطعام، لاحظت دونيلا أن أكثره كان قد أحضر معهم في العربة.

كان معظم حديثهما عن الخيل، وهما يجلسان إلى المائدة.

بزلة لسان، رغم حرصها على التكتم، كشفت عن أنها عادت حديثاً من فلورنسا.

علمت أن الماركيز قد كان سافر إلى هناك مرتين. وهكذا أخذا يتحدثان عن اللوحات الرائعة في معارض الفنون هناك وعن تاريخ فلورنسا نفسها.

وعندما انتهى الغداء، قال: «لقد استمتعت بصحبتك، يا دونيلا وأرجو أن تشعري بالثقة بي الآن.»

فقالت بسرعة: «نعم... طبعاً.»

قال: «سنتناول العشاء معاً الليلة، ونتابع حديثنا.»

• • •

وصل الماركيز إلى منزله في لندن بظرف ثلاث ساعات وعشرين دقيقة.

أكد لدونيلا أن ذلك كان أسرع بكثير مما سجله المرة الماضية، قال: «إنني طبعاً حسمت منه الساعة التي أمضيناها معاً وقت الغداء.»



فقالت تغيظه: «ربما هذا غير صحيح عندما حسب الأمير الوقت بين لندن وبرايتون، عدّ كل دقيقة بين المكانين.»

فقال الماركيز: «لقد استغرق ذلك منه خمس ساعات. وأنا واثق من أن بامكاني القيام بذلك في مدة ثلاث ساعات.»

أجابت: «طبعاً يمكنك ذلك، ولكن هذه ليست منافسة عادلة باعتبار أن حالة الطرق الآن أفضل بكثير مما كانت عليه في تلك الأيام.»

فضحك وقال: «اعتقد أن عليّ التفكير جيداً قبل أن أدخل معك في نقاش.»

كانت دونيلا تشعر بمتعة فائقة في النقاش معه.

فقد كان جميع الرجال الذين كانت تتحدث معهم سابقاً، مثل والدها وزوج أمها، هو عبارة عن محاضرات أكثر منها تبادل آراء او تقبّل وجهات نظرها.

دخلا المنزل، رأته من الفخامة والتأثير في النفس، تماماً مثل منزله في الريف.

سأل الماركيز رئيس الخدم بينما كان هذا يتناول منه القفازين والقبعة العالية: «كيف حال السيدة اليوم؟»

أجاب رئيس الخدم: «لقد أمضت السيدة ليلة لا بأس بها، يا سيدي ولكنها ترتاح الآن بعد أن قالت إنها لا تريد رؤية احد.»

شعرت دونيلا بالارتياح، فقد كانت تفكر في أن المرأة قد تكون أكثر فضولاً من الماركيز.

كانت خائفة من ان تنهال عليها هذه بالأسئلة بمن تكون وماذا كانت تقوم به. وهذا ما كان يخيفها في لندن بشكل خاص.

لم يكن ثمة اي احتمال في أن يعرفها أحد لأنها أمضت في فلورنسا ما يقارب العام والنصف عام.

كما أنها لم تمض في منزل والدها في لندن سوى فترة قصيرة جداً قبل أن ترسل إلى فلورنسا.

وطمأنت نفسها بأنها هنا في أمان تام. ولكنها ما زالت تشعر بالتوتر.

ذلك أن الماركيز حالما يعرف شخصية عدوّه، سيطلب منها دون شك، ان تغادر المنزل على الفور.

عند ذلك سيكون عليها أن تقرر إلى أين يمكنها الذهاب، لم تتصور قط، عندما هربت أنها ستواجه هذا العدد الكبير من العقبات.

كان يبدو على الماركيز أنه لطيف للغاية. ولكن مع هذا، فهي واثقة من أنه ما زال يعتبرها مثل كيتي وديزي.

كان يبدو ظريفاً جداً وأيضاً ممن يمكن الاعتماد عليهم.

وطمأنت نفسها بالقول: «حالما ينتهي هذا الأمر، سأعثر على مكان آخر أذهب إليه.»

ارشدت إلى غرفة رائعة الجمال تشرف على الحديقة من الناحية الخلفية للمنزل.

أخرجت احدى الخادمات حاجياتها من الحقيبة، ولم يكن في تصرفاتها أو في حديثها أي برود أو استنكار.

قالت لها: «سأكوي الثوب الذي ستلبسيه للعشاء، يا آنسة، وأظنك تريدين أن ترتاحي الآن، فالرحلة التي قمت بها، طويلة ومتعبة جداً.»

أجابت دونيلا: «لقد جئنا بسرعة فائقة. ولكن كما تقولين، الرحلة طويلة جداً.»



بدلت ثيابها ثم استلقت السرير، ووعدتها الخادمة بأنها ستحضر لها ما تغتسل فيه قبل ان يحين موعد العشاء بساعة.

وظنت دونيلا أن الماركيز ربما سيرتب هذا المساء أمر رؤية، أو سماع الرجل الأول من بين المشتبه بهم. ولكن عندما نزلت إلى الطابق الأسفل، قال لها: «لقد اتصلت بأول الرجال الذين أشتبه بهم، وهو عضو في نفس النادي الذي اشترك فيه، قلت له إنني أريد التحدث إليه الساعة العاشرة من صباح الغد.»

«ألم يشعر بالفضول لمعرفة... سبب رغبتك في... رؤيته؟»

«قلت له إنني أريد أن أتحدث معه في شأن السباق الذي سنشترك فيه معاً.»

قالت: «إذا كان لن يأتي قبل صباح الغد... فيجب عليك... أن تكون على حذر... هذه الليلة، إفرض أن الرجل تسلق صاعداً إلى غرفتك... أو ربما هو مختبىء فيها... الآن.»

فقال بهدوء: «لقد سبق وفكرت في ذلك، وأثناء وجود خادمي معي، سأتظاهر بأنني سأنام في سريري العادي، ولكن حالما يخرج، سأنام في غرفة أخرى.»

قالت: «هذه فكرة حسنة... ولكن... افرض أن الرجل من العامة... سيفتش عنك؟»

«هنالك عدد كبير من غرف النوم في هذا المنزل، وسأختار واحدة بعيدة عن غرفتي، ولها قفل قويّ كما ليس في الغرفة خزانة يمكنه الاختباء فيها.»

فقالت: «أرجو لك... الحماية والسلام.»

قال باسماً: «إنني واثق من أن دعاءك مستجاب.»

كان العشاء الذي تناولاه معاً يكاد يفوق الغداء بلذته، ووجدت دونيلا من الصعب أن تفكر في أيّ شيء عدا الماركيز والمواضيع الشيقة التي كان يطرحها الواحدة بعد الأخرى.

لقد علمت بأنه كثير الأسفار. وبينما كان هو يعرف الكثير عن بلاد أوروبا، لم تكن هي تعرف سوى عن فلورنسا.

أخذت توجه إليه أسئلة كثيرة كان يبدو عليه السرور وهو يجيب عليها.

عندما انتهى العشاء، قالت له: «كم أنت محظوظ بسفرك إلى اليونان. إنني أفضل اليونان على أيّ بلد آخر في العالم.»

فقال: «إنني واثق من أنك ستذهبين إليها يوماً ما.»

قالت دونيلا بصوت خافت: «أتمنى أن يكون هذا صحيحاً، إن كل ما يخص اليونان وبأهاليها الذين غيّروا من تفكير العالم... كل هذا يثير فضولي للتعرف إليها.»

همّ الماركيز بالاجابة، ولكنه بدلاً من ذلك، وقف وهو يقول: «أظن أن علينا الانتقال إلى غرفة الجلوس.»

قالت بسرعة: «نعم... بالطبع.»

أخذت تتساءل عما إذا كان قد أخذ يسأم منها، ولكنه بدلاً من أن يأخذها إلى غرفة الجلوس، أخذها إلى غرفة مكتبه.

كانت مختلفة جداً عن تلك التي في منزله الريفي، فقد كانت غرفة واسعة تطل على الحديقة، وبجدرانها رفوف امتلأت بالكتب.



وإذ هتفت دونيلا مسرورة، قال: «كنت أعلم أنها ستسرّك.»

فقالت: «لقد سرّتني طبعاً، وأنا واثقة من أن قراءتي لما فيها ستستغرق معي الحياة كلها، وهذا ما أحب أن أقوم به.»

كانت تتكلم دون تفكير، فقال الماركيز: «أهلاً بك للإقامة هنا إلى مدة غير محدودة، إذا كنت ترغبين في ذلك فعلاً.»

ضحكت دونيلا وهي تقول: «ستجد نفسك في ورطة كبيرة. إذا أنا قبلت دعوتك هذه فسأكبر هنا وسيشيب شعر رأسي قبل أن أن اصل إلى آخر كتاب على رفوف مكتبتك هذه.»

ضحك الماركيز هو أيضاً.

ثم أخذت تتنقل من كتاب إلى آخر، وهي تهتف مسرورة كلما أمسكت بواحد منها.

رآها، وهي تفعل ذلك، بأنها أشبه ببطلات الإغريق القديمات، جمالاً وفتنة وتفوقاً.

وعندما أصبحت الساعة الحادية عشرة، نظرت إليه قائلة بشيء من الاعتذار: «إنني واثقة من أنك كنت تتمنى لو أنني خرجت من غرفة المكتب قبل الآن. ولو أنك أردت الخروج إلى النادي أو إلى حفلة ما، كان بإمكانك أن تقول ذلك.»

فقال: «الحقيقة أنني كنت راضياً تماماً بالحديث معك، لكن بما أن عليك أن تستيقظي باكراً، ربما من الأفضل أن تأخذي قسطاً كاملاً من النوم.»

فأجابت: «أشكرك... لتذكيري بذلك... فهو في الواقع... أمر ضروري.»

تعلقت عيناها لحظة بعينيه، وجعلها التعبير الذي رأته فيهما، تشعر بالخجل.

تناولت منه الشمعة، ثم شرعت في صعود السلم ولم تقف لتنظر خلفها إلا بعد أن وصلت إلى الاعلى.

لم تكن متأكدة من انها ستراه ما زال واقفاً ينظر إليها. لكن عندما نظرت ناحيته، وجدت الردهة خالية إلا من الخادم الليلي.

ولسبب لم تستطع ادراكه، شعرت بخيبة من الأمل.

وحده فاضيه
منتدى ليلاس



# الفصل السابع

قال الماركيز: «ها قد فهمت الآن بأنني سأتعلل بعذر ما وادخل من هذا الباب.»

سكت قليلاً، ثم تابع يقول: «إذا كان الرجل هو نفس الرجل الذي نبحث عنه، فإنك ستومئين برأسك بالايجاب، وإلا فستومئين بالنفي.»

أجابت دونيلا: «لقد فهمت، وأرجو أن نعثر عليه بسرعة.»

فقال: «وكذلك أنا.»

كانت دونيلا قد نزلت من غرفتها بسرعة، متوقعة أن تتناول طعام الافطار مع الماركيز، ولكنها وجدته قد خرج باكراً ليمتطي جواده.

كانت قد انتهت من رشف القهوة، عندما دخل الغرفة، وخيل إليها أنه في ثياب الركوب، يبدو أكثر وسامة وتأثيراً في النفس منه في الثياب الأخرى.

قال: «صباح الخير يا دونيلا أرجو أن تكوني قد نمت جيداً.»

مع أنها كانت تشعر بالتعب البالغ، إلا أنها في الواقع وجدت صعوبة في الرقاد.

كانت قلقة بشأن الرجل الذي يبحثان عنه، وعما إذا كانا سيكتشفانه، وما قد يحدث لو لم يتمكنا من ذلك.

وعلى كل حال، فقد استطاعت أن تبتسم له. ثم اتجه إلى المائدة الجانبية ليسكب لنفسه ما يريد من الطعام.

عندما عاد ليجلس إلى المائدة، قال: «هل تسمحين لي بأن أقول انك تبدين جميلة جداً، رغم اعتقادي بأنك ما زلت خائفة قليلاً؟»

شعرت بالخجل وسألته بعد لحظة: «ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟»

«إنني أفضل لو أنك تشعرين بالخوف عليّ وليس مني.»

فقالت ضاحكة: «لقد شعرت بالخوف منك عندما التقيتك لأول مرة، لأنني سمعت قبل الآن كما أنت مخيف وقاسي.»

فسألها: «هل هذه سمعتي ما بين الناس؟»

أجابت: «طبعاً هذه سمعتك وعليك أن تعلم هذا.»

«كنت أظن أن بانكس وأجراسه لا يعتبرونني سوى زبون غني لايفانز ويتساءلون كم يمكنهم أن يسحبوا مني من مال.»

قالت متهمة: «ها أنت ذا تبدأ بالسخرية. وعندما كنت استرق النظر إليك من خلف نباتات المسرح في الليلة الأولى، تساءلت عن سبب السخرية المرتسمة حول شفتيك.»

فقال: «اذن، فقد كنت تسترقين النظر إليّ؟»

«لقد كنت بغاية الفضول بشأنك، وطبعاً بشأن حفلتك تلك.»

كانت تتكلم بنفس المرح الذي كانت تتكلم به الليلة الماضية عند العشاء.

الآن، بعد أن تذكرت كيف جرت الأمور في الحفلة وفي اليوم التالي، رأت نفسها وقد زايلها التحفظ واللباقة.



غيرت الموضوع بسرعة، وقالت: «أظن أن الحصان الذي ستمتطيه في السباق، لا بد وان يكون محروساً جيداً.»

فبدت علامات الخوف على وجه الماركيز، وهو يقول: «ارجو ذلك، ولكن اتراك تظنين...»

فقالت: «لقد خطر لي فجأة انهم إذا لم يتمكنوا من ايذائك، فقد يحاولون ايذاء جوادك بشكل ما.»

ضرب الماركيز جبهته بيده: «لم يخطر لي ذلك قط، ان جيادي كلها يقفل عليها باب الاسطبل اثناء الليل، بطبيعة الحال، ودوماً هناك حارس ليلي.»

فرأت دونيلا أنه لم يكن ثمة من ضرورة لتحذيرها هذا، فقالت معتذرة: «انه ليس سوى خاطر... مفاجيء.»

قال الماركيز: «وهذا يدل على ذكاء بالغ.»

سكت لحظة واخذ ينظر إليها، ثم سألها: «هل من الممكن، وأنت بهذا الجمال، أن تكوني بالغة الذكاء أيضاً؟»

فقالت: «أتمنى لو كان هذا صحيحاً، فلو كنت ذكية حقا، لما هربت دون أن أصمم على المكان الذي قد ألجأ إليه.»

قال: «ولكن الظروف تكفلت بأمرك، وأنا سعيد جداً لأن طريقك كان إلي.»

عندما انتهيا من تناول الإفطار، ذهبا إلى غرفة المكتب حيث أن الوقت كان لا يزال باكراً.

أخذت دونيلا تتصفح المزيد من كتبه. كان هنالك الكثير مما كانت تريد السؤال عنه، إلى حد جعلها تشعر بخيبة أمل وهي تراه ينظر إلى ساعة الحائط قائلاً: «بما أنني أتوقع

قدوم الزائر في وقت مبكر، أرى من الأفضل أن تدخلي إلى الغرفة المقابلة هذه.»

قال هذا ثم توجه إلى باب سري تغطيه الكتب فتحه، ودخلت دونيلا إلى الغرفة الثانية.

«إذا أنت جذبت الباب هكذا، فلن يستطيع أحد في المكتب أن يدرك وجوده أو حتى وجود هذه الغرفة الاضافية.»

فقالت: «نعم، هذا ما أراه.»

ترددت لحظة ثم قالت: «لا تدعه يبقى طويلاً إذا لم يكن هو الرجل المنشود.»

فقال: «كلا، بالطبع. فلا تتوتري بهذا الشكل.»

قالت: «إنني خائفة من... أن أخطىء.»

أجابها: «إنني واثق من أنك لن تخطئي والأمر لن يكون صعباً كما تظنين.»

ثم عاد إلى المكتب مسوياً الباب في الوضع المناسب، لكن دونيلا لم تكن بتفاؤل الماركيز.

لقد خشيت أن تجد صعوبة في تمييز صوت الرجل الذي سمعته يتكلم في الظلام.

ابتعدت قليلا عن الباب والقت نظرة على صورة معلقة على الحائط في غرفة الجلوس التي هي بداخلها الآن.

كانت تمثل الماركيز هانتينفورد سنة ١٨٢٥ وكانت مثالا رائعاً لرسم الفنان الشهير جوشوا رينولدز.

وأمكنها أن تلحظ الشبه الواضح بين الماركيز الحالي وجده هذا.



إذا بها تسمع صوت رئيس الخدم يعلن: «السيد فوكنر يريد رؤيتك، يا سيدي.»

أسرعت دونيلا نحو الباب، وسمعت الماركيز يقول: «صباح الخير يا سيد فوكنر.»

أجاب السيد فوكنر: «صباح الخير يا سيدي. لقد أردت رؤيتي.»

فقال الماركيز: «لقد أردت أن اتحدث معك عن سباق الخميس، اعتقد بأنك ستشترك به.»

«نعم.»

«هل ستمتطي أحد جيادك؟»

أجاب السيد فوكنر:

«ليس لدي سوى جواد واحد. وفي الواقع، انه المرشح الثاني للفوز حسب رأي الخبراء.»

فابتسم الماركيز وقال: «أظن أنني الأول.»

«طبعاً. وأظنك ستفوز.»

كانت المرارة واضحة في صوت السيد فوكنر.

فساله الماركيز: «وكم يبلغ الفرق بين الاثنين؟»

أجاب السيد فوكنر: «إنك من بين الثلاثة الأول يا سيدي، بينما أنا، من بين السبعة الأول.»

رفع الماركيز حاجبيه متعجباً وساله: «هل الفرق إلى هذا الحد؟»

«نعم. إلى هذا الحد.»

نهض الماركيز من خلف مكتبه، وقال: «أرجو المعذرة للحظة واحدة، ولكن لدي رسالة يجب أن تسلم إلى سكرتيري لكي يرسلها حالا.»

أمسك مغلفاً، ثم سار نحو الباب الذي كانت دونيلا واقفة خلفه تتنصت.

فتحه إلى حد يكفي لكي يمد يده بالمغلف، وأثناء ذلك نظر إلى دونيلا فأومأت له برأسها ايجاباً.

لقد تأكدت تماماً، حين تكلم السيد فوكنر، من أنه الرجل المنشود.

لقد كان هنالك شيء ما غير طبيعي في طريقة نطقه للكلمات.

هذا إلى أن المرارة التي نضحت بها كلماته الآن، كانت بالضبط هي نفسها التي نضحت بها كلماته وهو يقول إنه سيفلس إذا لم يتعطل الماركيز عن الاشتراك في السباق.

تناولت من يده المغلف بينما عاد هو إلى مكتبه ليجلس خلفه.

ثم قال بهدوء مخاطباً السيد فوكنر:

«بإمكاني أن أفهم يا فوكنر السبب الذي يجعلك تعمل على ألا امتطي جوادي يوم الخميس المقبل. ولكنني لا أرغب في أن يؤذيني أحد.»

اجفل فوكنر. التقت عيناه بعيني الماركيز، امتقع وجهه وقال متلعثماً: «ما... هذا... الذي... تقوله؟»

أجاب الماركيز: «لقد علمت بأنك استخدمت رجلاً لكي يعيقني بشكل يجعلني غير قادر على الركوب.»

سكت لحظة ثم تابع بعدها: «لقد فشل في الوصول إلي الليلة قبل الماضية، وأظنه سيحاول مرة أخرى هذه الليلة.»



تمتم فوكنر: «لا بد وأنك تتمتع بذكاء رهيب، لكي تعلم ذلك.»

فسأله الماركيز فجأة: «كم تبلغ من السن؟»

«إنني في الواحدة والعشرين.»

«ما الذي جعلك إذن في هذا الوضع الميؤوس منه؟»

«علي ديون تقارب الخمسة الاف جنيه دون أي أمل حتى في تسديد قسم منها إلا إذا تمكنت من الفوز في سباق يوم الخميس القادم.»

قال الماركيز: «إنني مقتنع بهذا السبب. ولكنني لا استطيع أن اسمح لك باتباع هذا المسلك الشائن.»

فقال فوكنر بتعاسة: «لا يمكنني فعل أي شيء الآن سوى اطلاق رصاصة على رأسي.»

ساد صمت قصير قال الماركيز بعده: «أظن هذا تضييقاً مؤسفاً جداً للحياة، وقد كنت لاحظت انك كنت فارساً ممتازاً في سباق النقاط عندي أول أمس.»

«لا فائدة من ذلك ما دمت لا استطيع حتى أن اقدم العلف لحصاني.»

لقد تحولت المرارة في صوته إلى ما يشبه العذاب.

فقال الماركيز: «إنني ساقدم إليك عرضاً، فلعلك تراه أفضل من ان تقتل نفسك.»

نظر إليه فوكنر بعينين خاليتين من أي أمل.

كان فتى جميل الصورة، ولكن وجهه الآن قد أصبح بلون الرماد.

كان يبدو عليه عدم الراحة في كرسيه وكأنه لم يعد باستطاعته الاستقامة في جلسته.

قال الماركيز: «ما أريد أن اقوله هو أن تمضي في اشتراكك بالسباق حسب ما هو مقرر، وبالروح الرياضية الكاملة.»

سكت، ثم أضاف بسرعة: «أظنك ستأتي في المرحلة الثانية حتماً، وهذا، كما تعلم، شيء يمكنك الافتخار به في عالم الرياضة.»

«ليس في هذا أية تعزية لي فيما لو أخذوني إلى السجن بسبب عجزي عن تسديد ديوني.»

فتابع الماركيز حديثه متجاهلاً ما قاله فوكنر: «فإذا ما انتهى السباق، أريدك أن تكون مساعداً لمدير الاصطبل عندي وهو المختص بجياد السباق والذي سيتقاعد خلال عام.»

ساد صمت عميق.

وعندما أخذ السيد فوكنر يحدق في الماركيز بصمت، قال هذا الأخير: «سأدفع لك كافة ديونك على ان تعدني بالا تعود إلى الإسراف في المستقبل.»

صدر صوت عن السيد فوكنر وهو يرفع يديه ليغطي بهما وجهه.

ثم قال بصوت متهدج: «لم أكن أعلم... ان هناك مثل هذه... الشهامة في العالم.»

منحه الماركيز دقيقة ليتمالك بها نفسه، ثم قال: «كلنا معرضون للخطأ، ولكونك رحيماً بالخيل، فأنا واثق من أنك ستتعلم منها أن لا تكرر نفس الخطأ مرتين.»

تناول السيد فوكنر منديله من جيبه ومسح به عينيه، ثم ابتدأ يقول: «لا أدري... كيف... أشكرك.»

«إن شكرك لي هو بالاعتناء بجيادي الذين سيشتركون



في السباق الذي ساعده، وأن تحاذر من أن يؤذيها أو يؤذيني أحد.»

«إنني... سأخدمك... بكل أمانة وإخلاص... طوال حياتي.»

تهدج صوته مرة أخرى وهو ينطق بهذه الكلمات بينما وقف الماركيز وهو يقول: «أريدك أن تذهب إلى غرفة سكرتيري، وسيقودك إليها أحد الخدم هنا، ثم تعطيه الحساب الكامل لكافة ديونك.»

سكت لحظة ثم تابع يقول: «لا تخف من أن يتكلم هو أو أنا بهذا الأمر. لن يعلم أحد عن هذا الاتفاق الذي بيننا. وعندما تذهب إلى مدير اصطبل جيادي، سيكون هو في انتظارك، واسمه واطسن.»

ونهض السيد فوكنر واقفاً هو أيضاً.

مدّ الماركيز يده مصافحاً فتشبث بها هذا بيديه الاثنتين، قائلاً: «أعدك بالا... أخيب ظنك بي أبداً...»

ثم وكأنه أصبح من المستحيل عليه أن يزيد كلمة على ما قال، سار نحو الباب وخرج.

استدار الماركيز باسماً ليتجه نحو الباب السري الذي كان يعلم أن دونيلا كانت تقف خلفه تتنصت.

ولكن، قبل ان يصل إليه كانت هي قد دفعته بيدها فانفتح.

اسرعت نحوه لتلقي بنفسها عليه دون تفكير. وهي تسأله بلهفة: «لشد ما أنت انساني... ورائع.»

وعندما رفعت وجهها إليه، كانت عينيها مغرورقتين بالدمع.

فنظر إليها، تجمدت في مكانها لحظة، وغلبها التأثر من الكيفية التي تصرف بها مع ذلك الرجل فانهمرت الدموع على وجنتيها.

عند ذلك، شعرت وكأن أشعة الشمس قد غمرت كيانها كجدول ذهبي.

أدركت، بأنها تحب الماركيز.

وكأنما مشاعرها وجدت صدى لدى الماركيز، فشد ذراعيه حولها.

لقد أدرك وهو يفعل ذلك أنه لم يشعر قط نحو امرأة من قبل، ما يشعر به في هذه اللحظة.

جعلت هذه السعادة الصافية النقية، الماركيز يحدق في دونيلا وكأنه لا يستطيع التصديق أن ما يشعر به هو حقيقة واقعة.

رأى ملامح وجهها تشع نوراً. وهذا ما جعلها تبدو أجمل مما كانت عليه في أي وقت مضى.

ساد بينها صمت دام للحظات، إلى أن قال بصوت غريب: «يا عزيزتي... يا غاليتي... كيف جعلتيني أشعر بهذا الشكل.»

فهمست: «أنا... أحبك.»

قال: «وأنا أحبك... كما انني لم انطق بهذه الكلمة من قبل لأية واحدة غيرك.»

وتشابكت نظراتهما.

عند ذلك فتح الباب، وارتفع صوت رئيس الخدم يقول: «اللورد والتنغهام يريد رؤيتك يا سيدي.» فابتعد الماركيز عن دونيلا التي تجمدت في مكانها دون حراك.



دخل اللورد والتنغهام الغرفة، وقد بدا ضخم الجثة ومتسلط كعادته كما ان ما تبقى من شعر اشيب في رأسه، جعله يبدو أكبر سناً مما كان عليه منذ ان رأته في آخر مرة.

كان اللورد والتنغهام يقول وهو يتجه نحو الماركيز: «أنا آسف لهذه الزيارة المبكرة.» وسكت لحظة ثم تابع يقول: «إنني في طريقي إلى قصر وندسور الملكي وأريدك أن تعلم أن الملكة قد وافقت على الاقتراح بتقليدك منصب سيد الخيل فأحببت أن اكون أول المهنئين.»

أجاب الماركيز: «اشكرك. هذا لطف بالغ منك.»

عندما صافح اللورد الماركيز، نظر باتجاه دونيلا وهتف: «دونيلا... ما الذي تفعلينه هنا؟ لقد أخبرني زوج أمك بأنك تقيمين مع قريبة لك اصيبت بالمرض فجأة.»

كان من المستحيل على دونيلا أن تجيب. لقد كف ذهنها عن العمل لحظة، كما أن صوتاً لم يصدر من بين شفتيها.

كأنما فهم الماركيز أن ثمة شيئاً مأساوياً يحصل، فقال: «إن الآنسة كولوين تقيم مع عمتي اللايدي إديت فورد، التي لسوء الحظ لا تساعدها صحتها على ترك غرفتها.»

فقال اللورد والتنغهام: «لقد فهمت ولكن بما انني عثرت عليك الآن، يا دونيلا، فأنا واثق من أن اللايدي أديت ستسمح لي بأن أزورك بعد الظهر أثناء عودتي من قصر وندسور.»

بقيت دونيلا صامتة، بينما تابع هو يقول: «سأكون هنا

حوالي الساعة الرابعة والنصف، وأنا متشوق إلى اخبارك عما لم اصرح لك به ذلك اليوم.»

كانت ما زالت دونيلا لا تستطيع النطق، وبسط اللورد لها يده، فمدت يدها بحركة آلية نحوه وكأنها دمية تتصرف دون تفكير.

فقال: «آمل ألا تخيبي أملي مرة أخرى.»

ثم رفع يدها إلى شفتيه.

عندما فعل ذلك، إذا بالشعور الذي كان قد انتابها نحوه من قبل عندما كانت تفكر فيه، يخترق كيانها كالسهم.

حبست أنفاسها، وجاهدت بكل ما أمكنها من قوة لكي تمنع نفسها من الصراخ.

ترك اللورد والتنفهام يدها، ثم اتجه نحو الباب الذي سبقه الماركيز إليه ليفتحه له.

فقال له اللورد: «لا تتعب نفسك بالسير معي إلى الخارج، يا هانتنفورد. واكرر تهاني.»

رأى الماركيز رئيس الخدم ينتظر في الخارج. وعندما ابتعدا في الممر، أغلق الباب ثم استدار نحو دونيلا.

عند ذلك صرخت وهي تندفع إليه هاتفة بذعر: «خبئني... خبئني. لا استطيع أن... أراه يجب أن اهرب... مرة أخرى... أرجوك... ساعدني.»

ورفعت إليه عينين ضارعتين ملؤهما الرعب.

فقال: «لا أفهم شيئاً. لماذا يريد أن يراك والتنفهام.»

«إنه... يريد أن يعرض... علي الزواج... وقد سبق ان اتفق، مع زوج أمي، على أن يتزوجني...»



حدق الماركيز في وجهها بذهول. فمثل هذه الفكرة لم تخطر بباله من قبل.

«ولكن اللورد والتنفهام اكبر سناً منك بكثير.»

فصرخت: «نعم... انه كبير جداً... وأنا... أكرهه... إنني أجد كل ما يتعلق به... كريهاً للغاية. ولكن زوج أمي معجب به... إلى درجة يريد أن... يرغمني على الزواج منه.»

نظرت حولها برعب وكأنها تفتش عن مهرب: «يجب أن أرحل... أرحل حالاً. آه، أرجوك... أرجوك أن تخبرني... إلى أين يمكنني... الرحيل.»

جذبها الماركيز إليه، وقال: «انك لن ترحلي إلى أي مكان وليس هناك سبب يدعوك إلى الاختباء، وعندما يعود اللورد والتنفهام بعد الظهر، سأتصرف أنا معه.»

فقالت: «ولكنك لا تفهم الأمر... إن زوج أمي... وأمي، لأنها تفعل دوماً ما يريده، قد منحاه الأذن بالزواج مني. إنهما الوصيان علي... وليس ثمة ما يمكنني... عمله حيال ذلك... غير الهرب.»

قال الماركيز: «ما يمكنك عمله هو بسيط جداً. عندما يعود والتنفهام بعد الظهر، سأخبره بأنك خطيبتي.»

حملقت دونيلا به، وهمست: «هل أنت... تطلب مني... أن اتزوجك؟»

أجاب: «إنني لا أطلب منك بل أخبرك بأننا سنتزوج لأننا نحب بعضنا البعض.»

«ولكنك... لا تعرف... شيئاً عني...»

فقال: «أعرف أنني أحبك. وعندما جئت إلى غرفتك

فطردتني، أدركت أنه لن يهدأ لي بال إلا بعد أن تصبحي لي.»

خبأت دونيلا وجهها وتمتمت تقول: «ولكنك... في ذلك الحين... لم تكن تفكر في الزواج.»

فقال: «هذا صحيح. ولكنني رغبت فيك كما لم أرغب في إمرأة من قبل. وأنا أعلم الآن انك إذا لم توافقي على الزواج مني، فسأكون أكثر عجزاً عن الاتيان بأي عمل، مما كان فوكنر وعميله ينويان فعله بي.»

فقالت: «لا أستطيع أن... أتصور شيئاً... أجمل ولا أكمل من الزواج بك ولكن أفرض انك... عندما تزداد معرفة بي... ستسأم مني... أو ان تشعر بالندم لأنك لم تتزوج... من امرأة أخرى.»

فقال: «إنني لم أطلب الزواج من أية امرأة قبلك ولا أرى شيئاً اكثر إذلالاً لي من قولك لي، كلا.»

فهمست: «أحبك... أحبك من كل قلبي... وربما بعد كل ما حدث، سأتمكن من رعايتك... حتى لا تقع في نفس الخطر... مرة أخرى.»

ضحك الماركيز برقة زائدة، وقال: «ظننت أنني أنا الذي سأرعاك، يا جميلتي. هذا شيء ساقوم به حتماً لئلا تتورطي مع رجال مثل بازيل بانكس، أو تذهبي الى حفلات مثل تلك التي يقيمها ماركيز هانلتنفورد الخليع.»

قال ذلك بلهجة سعيدة جعلت دونيلا تنظر اليه باسمة وتقول: «إياك أن تفكر في أن ماركيز هانتنفورد... سيقيم... ذلك النوع من الحفلات في المستقبل... ثم يرفض دعوة... زوجته اليها.»



فقال الماركيز: «لن تكون هنالك سوى الحفلات المحترمة جدا التي ستتألقين فيها يا حبيبي كالشمس أو كالنجم الذي كان والدك يقول إنه يفتش عنه في السماء.»

أصبح صوته عميقاً وهو يتابع قائلا: «إنك نجمي الذي سيرشدني ويلهمني. فأنا، بصراحة، لا استطيع العيش من دونك.»

شعرت دونيلا بقلبها يغني بسعادة. وأدركت أنه استجاب لدعائها.

لقد كانت تطلب وتدعو لأن تصادف الحب النقي الصافي. الحب الحقيقي الذي كان يربط بين والديها.

الحب الذي يزداد عمقاً مع مرور السنين، ويستمر حتى آخر العمر.

الحب الذي ليس منه مهرب.

تمت

وحده فاضيه
منتدى ليلاس